كامل السيد شاهين

اللباب في العروض والقافية

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

الناشر
المكتبة الأزهرية للتراث
٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر
☎ ٥١٢٠٨٤٧

المنهج المقرر دراسته

(ا) تعريف علم العروض ، بيان الحاجة إليه ، تفاعيل الشعر العربى ، تقسيم مقاطعها إلى أسباب وأوتاد ، تقسيم السبب والوتد .

كيفية تقطيع الشعر ، الزحاف والعلة والفرق بينهما ؛ أقسام الزحاف والعلة ، والعلل الجارية مجرى الزحاف . (مع عدم التعرض للخزم والخرم) .

(ب) البحور الآتية :

الوافر ، الكامل ، الرجز ، الرمل ، المتقارب ، المتدارك ، الطويل ، البسيط ،

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى سائر رسل الله ، وعلى آلهم ومن صحبهم وآزرهم .

نهج الكتاب

دعانى إلى تصنيف هذا الكتاب ، ما وجدت من إعراض الطلاب عن هذا العلم ، واستسخافهم له ، وبرَمَهم به ، مع سهولته ويسره ، ودُنوّ مطلبه .

ولقد هديت إلى أن سر هذا الضيق هو الطريق الذى درج عليه التأليف فيه ، فالمؤلف يحشد نحو خمسين مصطلحاً عروضياً ، ويطلب إلى التلميذ أن يستوعبها حفظاً وإدراكاً ، دون أن يفهم ماخلقت لأجله ، وماتفيد فيه ثم رأيتهم يرتبون البحور على حسب الدوائر التى فنها الخليل ، وهى تقضى بجعل الطويل أول بحر ، مع انه يوزن بتفعلين مختلفتين ؛ والطالب فى أول أمره لايستطيع أن يزن بصنجتين ، ولا يتاح له ذلك إلا بعد التدريب على غيره من البحور ذات التفعيلة الواحدة المكررة .

١ — ولما كانت قواعد التربية الأولى ، تقضى ألا يدعى الطالب إلى حفظ شىء يجهل مرماه ، فقد نثرْتُ المصطلحات العروضية فى البحور نثراً

وعرضت لها عند الحاجة إليها ، وإن دعا ذلك إلى التكرير ، فنحن فى أمس الحاجة إليه للتذكير .

٢ — ولما كانت قواعد التربية تقضى بأن ينتقل الطالب من السهل إلى الصعب فقد بدأت بالبحور ذوات التفعيلة الواحدة المكررة ، ثم بالبحرين ذوى التفعيلتين المكررتين ، ثم بالأبحر ذوات التفعيلات المختلفة ، ليكون الطالب عند عبوره الأبحر الأولى على مرانة تمكنه من جواز مابعدها ، وهكذا .

٣ — ورغبة فى أن يدرب الطالب على التقطيع ، التزمت أن يكون كل مثال فى كل ضرب عبارة عن بيتين ، أقوم بتقطيع أحدهما وأدع الآخر للطالب ليقطعه . مبتديا بالبيت الذى سبق تقطيعه .

٤ — وإتماماً للفائدة أتبعت كل بحر بتدريبات منوعة مصنفة ، غير جارية على نهج مسوق . ولا متأسية طريقاً عرف ، بل هى بكر عذراء ، ثم أتبعت كل طائفة من البحور بتطبيقات عامة . ليتبين بها الطالب جملة قوته ، ويعرف حقيقة إدراكه .

٥ — وقد وجدت أن العروضيين إذا حذفوا من التفعيلة شيئا ، ووافق الباقى تفعيلة أخرى مألوفة حولوا مابقى من التفعيلة الأولى إلى التفعيلة الأخرى . وهذا وإن كان أحسن فى المذاق إلا أنه يحسن مع المبتدىء أن تبقى التفعيلة — إذا حذف منها شىء — على حالها ، ليتعرف على هذا المحذوف . مثلا : إذا

دخل الحذف (مفاعيلن) صارت (مفاعى)، وهى بهذا الوضع تنادى بأن فيها حذفاً، لأنه ليس هناك من التفعيلات ماوزنه (مفاعى). أما إذا حولت إلى (فعولن) كما يفعل العلماء، فذلك جدير أن يصرف الطالب عن التعرف على مابها من تغيير.

٦ — والآن أختم ما أردت إليه بما جاء فى مقدمة كتاب المجمل فى الأدب العربى.

« ولقد عمدت إلى السهولة واليسر، والبسط فى البيان، لأنى رأيت أن الإيجاز فى هذا العلم لايلائم عقل الشاب الذى ليست له دراسة سابقة، على أنه كثيراً مايغرى بالاستظهار ويصرف عن الفهم والتدبير، وإذا كان للتعليم فى مصر آفة تفسده وتحول دون الإنتفاع به، فإنما هى الإعتماد على الذاكرة، والانصراف عن النظر والتفكير.

فإن رأى الأساتذة والطلاب فى هذا الكتاب طولا، فلايرو عنهم ذلك، فإنه من اليسر والوضوح بحيث يستطيع الطالب أن ينعم النظر فيه، فإذا هو ملم بما قصدت إليه إلماماً كافياً ».

والله ولى التوفيق

تقدمة

في معرفة علمي العروض والقافية . وبيان الحاجة إليهما

نظمت العرب الشعر تعبيراً عن عواطفها في الحب والغزل ، وانفعالاتهم في الحماسة والنخوة ، ونظمته إشاعة لمجادتها ، وتسجيلا لآثارها ، ونظمته وصفاً لما يحيط بها من أطلال وديار وحيوان ، وما يقع تحت أبصارها من مجالى الطبيعة . . نظمته في كل ذلك ، وفي غير ذلك ، مما تتبعته كتب تاريخ الأدب العربي .

وكانت في نظمها هذا . قاصدة إلى التأثير ؛ وحمل السامع على أن يشارك الشاعر فيما يعتمل في صدره ، ويشيع في نفسه ؛ وكانت أدوات هذا التأثير ثلاثاً :

أولها : انتقاء التعبير المثير بذاته ، وثانيها : وضع هذا التعبير في قالب موسيقى هزاز . وثالثها : التزام لوازم في آخر هذه القوالب تصون هذا التأثير وتزيده .

وقد وضعت علوم ثلاثة لهذه الأدوات الثلاث ؛ فوضع علم النقد الأدبي ؛ إن صح أن ماظهر منه يسمى علما ؛ وهو يتضمن علم البلاغة ؛ الذى يتناول الوقوف على المطابقة لمقتضى الحال ؛ وطرق التعبير عن المعنى الواحد بأساليب مختلفة ، من حيث إن كلا من المطابقة وتنوع التعبير ؛ لها مدخلية في التأثير .

ووضع علم العروض لضبط القوالب الموسيقية وحصرها ، وبيان ما يجوز أن يدخل أجزاء هذه القوالب من تحوير ، زيادة أو نقص لا يختل به النغم ، وما يمتنع من ذلك لأنه يخل به ويخدش أذن الشاعر المطبوع .

ووضع علم القافية لبيان ما يلتزم فى أواخر أبيات القصيدة من لوازم، حتى يكون لها نظام واحد ، فلا تضطرب موسيقاها ، ولا يفسد ترتيبها .

* * *

وعلم العروض ، وعلم القافية علمان ينبغى للأديب الإحاطة بهما ، حتى ذى الطبع المصقول ، والأذن المميزة .

(ا) ذلك بأن بعض القوالب الموسيقية التى يعبرون عنها بالبحور تجده شديد التقارب ، حتى ليخرج الشاعر من بحر إلى بحر من غير تنبه ، ويتورط فى هذا الخط كبار الشعراء وصغارهم على السواء ، والوازنون من علماء العروض هم الذين يستطيعون أن يردوهم عن هذا الخط ، ويمدوهم بما هو الصواب .

وإذا كان ذوو الطبع المواتى ، والأذن المنغمة يتورطون فى شىء من هذه الأخطاء ، فغيرهم من الأوساط . ومن دون هؤلاء ، أقرب إلى الخطأ ، وأدنى من التخطيط ، ولا يعصمهم إلا تعلم العروض ، واتخاذه ميزاناً لما ينتجون .

(ب) والممارسة الطويلة لعلم العروض، تعين على إظهار المواهب الشعرية المستورة ، وتفتح المغاليق من الفطر الشاعرة .

(ح) على أن كثيراً من التراث الأدبي لا يفهم إلا حيث كان القارىء ، ملماً باصطلاحات على العروض والقافية ، أنظر إلى قول القائل .

وبقلبي من الجفاء مديد ... وبسيط ، ووافر ، وطويل
لم أكن عالماً بذاك إلى أن ... قطع القلب بالفراق الخليل

فمن ذا الذي يفهم البيتين وما فيهما من (معنى وتورية) ؛ إذا لم يكن عالما بمصلحات العروض؟ ثم انظر إلى قول الآخر :

يا كاملا شوقى إليه وافر ... وبسيط وجدى فى هواه عزيز
عاملت أسبابى إليك بقطعها ... والقطع فى الأسباب ليس يجوز

فكيف السبيل إلى معرفة مايريد الشاعر من معنى ، ومن تورية ، إذا لم يكن للسامع معرفة بهذه المصطلحات [1] .

(ى) وكثيراً ما يطالعك فى كتب النحو والتصريف ، أن الشاعر ارتكب مخالفة من المخالفات ، لأن الوزن ألجأ إلى ذلك ، فإذا لم تكن على بينة من أمر الوزن فكيف تستريح إلى مثل هذه التمايلات ؟

لا جرم أنك إذا جهلت الوزن مضطر إلى تقبلها تلقيناً لا يعتمد على إدراك ، وحاشاك أن تطمئن نفسك إلى مثل هذا الموقف .

وإذا صحّ ذلك مع شاعر قديم قد عرّفك العلماء أمره ، فكيف أنت

---

(١) هذا والعلامة الدماميني فى العيون الغامزة نقل عن ابن برى ، تضمن الدفاع عن العروض والرد على من استسقطوه واستبردوه ، واثباتاً لجدواه ، فى أناقة وقوة .

بالشاعر الذى لم تقف على خبره إذا ارتكب مخالفة ما : أتردُّها إلى ضرورة الوزن وأنت تجهله ، أم تبادرُ إلى تخطئته وأنت لم تستبن أمره ؟

* * *

وفى القافية (١) قد يستعمل الشاعر بعض الاصطلاحات التى وضعها العروضيون (ولقد أولع بذلك المعرى) كما فى قوله :

بعدى عن الناس خير من لقائهم فقربهم بالحجى والدين إرزاء
كالبيت أفرد لا إيطاء يدخله ولا سناد ولا بالبيت إقواء .

فأبو العلاء حين يعتزل الناس يأمن على نفسه من النقص فى العقل والدين وهو فى هذا كالبيت الفرد الذى ليس بعده بيت آخر ، فانه لايتصور أن يدخله الايطاء ، ولا السناد ، ولا الاقواء ؟ !

فهل تستطيع أن تدرك الشبه بين أبى العلاء المعتزل ، وبين البيت المنفرد إذا لم تعرف : ما الايطاء ، وما السناد ، وما الأقواء ؟ !

ومثل هذا قوله فى إحدى قصائده الغرر ، يصف الغراب وهو متشح بالسواد ، يرثى ولدَ الشريف الرضى ، ويتخيل أن قول الغراب : (غاق ،غاق) قصيدةَ رثاء فيه :

لاخاب سعيكَ من غُدافٍ أسحم كسُحيم الأسدى أو كخُفاف
منْ شاعر للبيْن قال قصيدةً يرثى الشريفَ على رَوىِّ القاف
بُنيتْ على الإيطاء سالمةً من الإقواء والإكفاء والإصْراف

فما هذا الرَّوىُّ الذى تحدث عنه ، وما الإيطاء والإقواء ، وما الإكفاء

والإصراف ؟! الأول من حروف القافية والبقية من عيوبها.

وليت شعرى كيف نفهم هذا الجزء من قصيدة هذا الأديب إذالم نلم بعلم القافية إلماماً معقولا .

(ب) والذ يخون الطبع المواتى فى القافية ، كما يخون فى الوزن . فقدروَوْا عن النابغة .

سقط النصيفُ ولم تردْ إسقاطه فتناولته واتَّقَتْنا باليـــــد

مُخضَّب رَخْص البنان كأنه عَنَم يكاد من اللطافة يُعْقَدُ ! !

فهذا عيب ظاهر ، وقع فيه فحل من فحول الجاهلية ، فما الظن بغيره من أوساط الشعراء وخفافهم ؟ !

اختراع العروض[1]

ولقد أجمع المؤرخون على أن مخترع العروض هو الخليل بن أحمد الفراهيدى ، من قبيلة الأزد اليمنية ، وقد عاش ما بين سنتى ١٠٠ ، ١٧٠هـ .

ويزعم الرواة أن الذى هيأ له ذلك ، مروره يوما بسوق النحاسين وهو يدير بيتاً من الشعر فى رأسه ، فتوافق تتابع حركاته مع تتابع طرقات النحاسين على آنيتهم ، وسكناته مع توقف المطارق عن الآنية . فالطَّرق حركة ، والتوقف سكون ، وهكذا.

فأدرك أن موسيقى البيت إنما جاءت من حركات وسكنات منتظمة ، وأجرى ذلك فى بقية الأنواع ، حتى استوى له هذا العلم كاملا :

(١) غير مقرر .

الوحدات الصوتية (الأسباب والأوتاد)

ولما رأى العروضيون أن لابد للوحدة الصوتية فى أبسط صورها من حركة وسكون، عادوا، فنظروا فى الكلمات باعتبار الحركات، وما معها من سكون، ثم قسموا الوحدات الصوتية أقساماً :

١ — ما تركَّبَ من حركة وسكون، وهو أقل الوحدات، مثل لمْ، قدْ، كم. ويسمى سبباً خفيفاً.

٢ — ما تركب من حركتين وسكون، مثل : عَلَمْ، قلم، ضرَبْ، هرَبْ ويسمى وتداً مجموعاً.

٣ — ما تركبَ من ثلاث حركات وسكون، مثل : سعدا، قَلَمٌ، فهِمُوا، ويسمى فاصلة صغرى.

٤ — ما تركب من أربع حركات وسكون، مثل خُلُقُكم، خلُقنا، عملكم، عملنا، ويسمى فاصلة كبرى[1].

---

(١) جرى العروضيون على أن يزيدوا ما تركب من حرفين متحركين نحو لم بكسر اللام وفتح الميم، وانكرها المحققون من القدماء كالدمنهورى فى حاشيته الكبرى، كما أنكرها كثير من المحدثين، كالمرحوم الشيخ عبد الفتاح بدوى وينبغى أن يعد مثلها ما تركب من حركتين بينهما سكون، لأنه لا يوقف على متحرك فلا تتم به وحدة صوتية. والعروضيون يسمون ذلك وتداً مفروقاً مثل : نعم، قرن بفتح الميم والنون، والذى دعاهم لاعتبارها حكم الدوائر، والدوائر محض فروض لا يبنى عليها شىء من العلم، كما جرى عليه الدماميني فى شرح الرامزة، وبعض المحدثين كالشيخ بدوى والتنوخى وغيرهما.

التفعيلات

ومن هذه الوحدات الصوتية أخذوا ما سموه التفعيلات ، وهي أجزاء الأبيات ، أو الوحدات المكررة التي ينتظمها البيت الواحد ، وهي ثمانية .

(١ ، ٢) ما تركب من وتد مجموع فسبب خفيف (ـَـَـْـَـْ [١])، ويعبر عنها بلفظ (فعولن) . وعكسها ، أي ما تركب من سبب خفيف ، فوتد مجموع (ـَـْـَـَـْ) ، ويعبر عنها بلفظ (فاعلن) .

(٣ ، ٤) ما تركب من وتد مجموع فسببين خفيفين (ـَـَـْـَـْـَـْ) ، ويعبر عنها بلفظ مفاعيلن ، وعكسها المركب من سببين فوتد (ـَـْـَـْـَـَـْ)، ويعبر عنها بلفظ (مستفعلن) .

(٥ ، ٦) ما تركب وتد مجموع ففاصلة صغرى (ـَـَـْـَـَـَـْ)، ويعبر عنها بلفظ (مفاعَلَتن) . وعكسها ما تركب من فاصلة صغرى فوتد مجموع (ـَـَـَـْـَـَـْ) ، ويعبر عنها بلفظ (متفاعِلُن) .

(٧ ، ٨) ما تركب من سببين خفيفين بينهما وتد مجموع (ـَـْـَـَـْـَـْ) ، ويعبر عنها بلفظ (فاعلاتن) ، وما تركب من سببين خفيفين بعدهما وتد مفروق (ـَـْـَـْـَـْـَـَ) ، ويعبر عنها بلفظ (مفعولاتُ) .

---

(١) رمزنا للحركة بما يشبه الفتحة ، والسكون بسكون ، وجرى العروضيون على أن يرمزوا للحركة برأس ضمة (ه) والسكون بما يشبه الواحد (١) أو الخط الرأسي ، ولا مشاحة في الاصطلاح ، ولكن صنيعنا أقرب للتعود ، وما درج عليه المتعلمون .

الخط العروضى [1]

ولما كان الوزن معتمداً على النغم . وكان النغم آتيا من اللفظ ، اعتبر العلماء من الكلمات ما يُنطق دون ما يكتب . فلا عبرة بواوى (أولئك) و (عمرو) ولا عبرة كذلك بهمزة الوصل ولا باللام الشمسية . ولا بالألف بعد واو الجماعة ، ولا بواو الجماعة المحذوفة نطقاً فى نحو : (سمموا اللغو) .

وتعتبر الألف المنطوقة بعد الهاء فى (هذا ، هذان ، هؤلاء) وبعد الذال فى (ذلك) ، وبعد الراء والميم فى (إبراهيم ، والرحمن) ، كما تعتبر الواو التى بعد الواو فى (داود) .

وعلى الجملة ، فكل ما ينطق يعتبر ، وكل مالا ينطق لا اعتبار به ، حتى إن التنوين يجب أن يعد حرفا ساكناً فى الآخر .

وتسهيلا على الدارسين ، حتى لا يتورطوا فى عدّ مالا يعد ، أو فى إهمال ما هو معتبر ، جعلوا خطاً خاصا بالعروض ، يدور مع النطق إثباتاً وإهمالا .

فإذا أردنا كتابة قول البوصيرى :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على   حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

إذا أردنا كتابته بالخط العروضى ، وجب أن يكتب هكذا :

وننفس كططفل إن تهمله شبب على   حبب ررضاع وإن تفطمه ينفطمى

وقولُ الآخر :

---

(١) غير مكرر .

وضيفُ عمرٌو ، وعمرو يسهران معا — عمرٌو لبطنته والضيفُ للجوع

يكتب هكذا :

وضيف عمرن وعمرُن يسهران معن — عمرن لبطنتهى وضضيف للجوعى

وقول الحطيئة :

أولئك قوم إن بنوْا أحسنوا البنا — وإن عاهدوا أوفَوْا وإن عقدوا شدوا

يكتب هكذا :

ألائك قومن إن بنو أحسنُ لبنا — وإن عاهدوا أوفوْ وإن عقدو شددوا

وقس على ذلك ، فلن يعجزك .

البحور وطريقتنا فى إيرادها (١)

وقد حصر العلماء الطرق التى يأتى عليها شعر العرب فى ستة عشر طريقا ؛ سموا كل طريق منها بحراً ؛ وكثيراً ما يتفرع البحر الواحد إلى جداول .

وقد نظرنا فى هذه البحور فوجدناها من حيث اتفاق تفعيلاتها واختلافها أنواعا ثلاثة :

(١) ما تتكرر فيه تفعيلة واحدة ؛ وعدتها سبعة أبحر (٢) .

(٢) ما يتركب من تفعيلتين مكررتين ، وهما بحران (٣) .

---

(١) تقرأ للاستفادة .

(٢) هى : الوافر . الكامل . الرجز . الرمل . المتقارب . المتدارك .

(٣) هما : الطويل . البسيط .

(٣) ما يتركب من تفعيلتين، تتكرر إحداهما فى الشطر الواحد — ولو فرضا — ولا تتكرر الأخرى، وذلك أنواع:

(ا) أن تكون غير المكررة وسطا تكتنفها التفعيلة المكررة، وذلك أربعة أبحر [1].

(ب) أن تكون غير المكررة آخراً فى كل شطر، وذلك بحر واحد [2].

(ج) أن تكون غير المكررة أولا فى كل شطر، وذلك بحران [3].

كيفية تقطيع الشعر

١ — إذا جاءك بيت من الشعر وأنت فى أول عهدك بالتقطيع، فاعمد إليه، وسجل حركاته وسكناته، وارمز للسكون بالعلامة (°)، وللحركة أيا كانت فتحة أو كسرة أو ضمة بالعلامة (ـَ)، ثم انظر فى هذه الحركات والسكنات، وكون منها مجموعات متماثلة، وقابلها بوزنها الذى يدل عليها، وبذا تكون قد قطعت البيت، ولنضرب لذلك مثلا قول الشاعر.

عرف الحبيب مكانه فتدللا   وقنعت منه بموعد فتعللا

فاننا نستطيع تسجيل حركاته وسكناته هكذا:

ـَ ـَ ـَ ° ـَ ° ـَ ـَ ـَ ° ـَ ° ـَ ـَ ـَ ° ـَ ° ـَ ـَ ـَ ° ـَ °

ـَ ـَ ـَ ° ـَ ° ـَ ـَ ـَ ° ـَ ° ـَ ـَ ـَ ° ـَ ° ـَ ـَ ـَ ° ـَ °

---

(١) هى: الخفيف. المديد. المنسرح. المضارع، غير أن التفعيلة الثالثة فيه فرضية.

(٢) هو: السريع.

(٣) هما: المقتضب. والمجتث، غير أن التفعيلة الثالثة فى كل منهما فرضية.

فأنت بسهولة تستطيع أن تجعل المجموعة الواحدة عبارة عن ثلاث حركات عليها سكون ، بعدها حركتان يليهما سكون ، هكذا ( ) وتعبر عنها بالوزن (مَتفاعلن) : فاذا طبقت ذلك على البيت كان تقطيعه هكذا

عرف الحبيـ (متفاعلن) ب مسـكانه (متفاعلن) فتدللا (متفاعلن) .
وقنعت منـ (متفاعلن) ـه بموعد (متفاعلن) فتملا (متفاعلن) ،
وسترى أن لكل بحر تفاعيل خاصة به .

٢ — ولا يروعنك بعض الاختلاف بين المجموعات ، فربما كان فيها شيء من زيادة أو نقص ، مثال ذلك :

أحدثه إذا غَفَل الرقيب   وأسأله الجواب فلا يجيب

وهو يسجل هكذا :

فترى أن المجموعة مكونة من متحركين بعدها ساكن فثلاثة متحركات بعدها ساكن ( ) ، ويعبر عنها بلفظ (مفاعَلَتن) ، ويجرى ذلك فى مجموعتين كل شطر ، فأما الثالثة من الشطر الأول ومن الشطر الثانى فانها تكون ( ) أى متحركين فساكناً ثم متحركا فساكناً ، ويعبر عنها بلفظ (فعولن) .

٣ — وإذا ظفرت بتقطيع بيت فكرر هذا التقطيع ، ونغمه بتوقيعات منتظمة بواسطة خبط اليد على الركبة أو خفق الأرض بالقدم لأن ذلك يطبع فى ذهنك النغم الخاص بالبيت وبالبحر كله ، ويسهل عليك التقطيع دون حاجة إلى اللجوء لإثبات الحركات والسكنات وتفصيلها إلى مجموعات .

٤ — وكثيراً ما يغنى عن هذا كله أن تكون لك أذن موسيقية ، فإنها تدرك وتميز ، ويسهل وجودها التقطيع غاية التسهيل .

الفصل الأول

فى البحور ذوات التفعيلة المتكررة

١ — الوافر

ويبنى هذا البحر من وزن (مفاعلتن) ست مرات ، ثلاثة منها فى شطر ، وثلاث أخرى فى شطر .

١٠ — اقرأ قول الحماسى ، يخاطب نفسه ، وقد حدثته نفسه بالفرار :

أقول لها وقد طارت شَعاعا   من الأبطال ويحك لن تُراعى
فإنكِ لو سألتِ بقاء يوم الأجل   على الذى لك لن تطاعى

ولنقطع البيت الأول منها هكذا :

أقول لها (مفاعلَتن) وقد طارت (مفاعلْتن) شعـاعا (مفاعلْ) .

من الأبطا (مفاعلَتن) ل ويحـك لن (مفاعلَتن) تراعى (مفاعلْ)

ونظرة إلى الجزء الثالث من الشطر الأول (شعـاعا) نجد أن زنته قد تحولت من (مفاعلتن) إلى مفاعلْ ، فكيف تم هذا التحول ؟ لقد حذفنا الحرفين الأخيرين (تن) ، ولا شك أن هـذا حذفٌ للسبب الخفيف ، وحذف مثل هذا يسميه العروضيون (حذفا) ، فبقيت التفعيلة (مفـاعلَ) بتحريك

الحرف الخامس ، ثم سكنوه فصار (مفاعلْ) ، وتسكين الخامس عندهم يسمى (عصْباً) .

إذن ، فقد دخل التفعيلة الأخيرة من الشطر الأول . الحذف ، والعصب ، والحذف والعصب معاً يسميان (قَطفا) .

فإذا عرفت أن التفعيلة الأخيرة من الشطر الأول تسمى (عروضاً) أمكن أن تقول : إن هذا البيت عروضه مقطوفة .

وانظر إلى التفعيلة الأخيرة من الشطر الثانى . تجدها قد تحولت من (مفاعَلَتن) إلى مفاعلْ) أيضاً ، فقد دخلها الحذف والعصب معاً ، أى أنه قد دخلها (القطف) .

فإذا علم أن هذه التفعيلة تسمى ضرباً . . أمكن أن يقال : إن هذا البيت ضربه مقطوف ، كما أن العروض مقطوفة ،

يمكن أن تجرى فى تقطيع البيت الآخر على مارسمنا لك فى البيت الأول وعلى هذا الضرب جاء قول عبد الله بن الصِّمة القُشيرى :

أقول لصاحبى والعيس تَهوى بنا بين المُنيفة فالضِّمار
تمتع من شَميم عَرار نجد فما بعد العشية من عَرار
ألا ياحبذا نفحاتُ نجد وريَّا روضه بعد القِطار
وأهلكَ إذا يحلُّ الحى نجدا وأنت على زمانك غيرُ زار
شهور ينقضين وما شعرنا بأنصاف لهن ، ولا سِرار

٢ - قال ابن رشيق :

أقبَّـله على جزَع كشرب الطــائر الفزع
رأى ماء فواقعـــه وخاف عواقب الطمع

ويقطع البيت الأول هكذا :

أقبِّـله (مفاعَلتن) على جزع (مفاعَلتن).

كُشرب الطا (مفاعلتن) ئرِ الفزِع (مفاعَلتن)

أين التفعيلة الأخـــيرة من الشطر الأول ، ونظيرتها من الشطر الآخر ؟ : حذفتا ، ولذا يسمى هـذا البيت مجزوءاً ، وتعتبر كلمة (على جزع) التي هي آخر الشطر الأول عروضاً ، وهي كما ترى صحيحة ، كما تعتبر (ئرِ الفزع) ضرباً . وهو صحيح أيضاً .

إذن فالبيت مجزوء ، والعروض صحيحة ، والضرب صحيح .

وعلى هذا الضرب جاء قول أبي العتاهية :

ألا أين الأولى سلفـــوا دُعـــوا للموت واختطفوا
فوافوا حـــين لا تُحفٌ ولا طرَف ، ولا لطَف
ترُص عليهم حُـــفَر وتُبْنَى ، ثم تنخسف

* * *

(ب) وهاك هذه الأبيات .

رُقيَّة تيمّتْ قلبي فواكبــدا من الحب
نهـانى إخـوتى عنها وما للقلب من ذنب
وعن صفــراء آنسة كخُوط البـانة الرَّطب
وما أقبــل نصح النـا صحى من شــدة الكرب

ولنقطع البيت الأول :

رقية تيـ (مفاعلَتن) يمّتْ قلبي (مفاعلْتن)
فواكبدا (مفاعلَتن) من الحب (مفاعلْتن)

لم يحصل تغيير فى العروض سوى تسكين الخامس ، وهو المسمى (عصباً) وكذلك الضرب قد سكن خامسه ، فهو معصوب ، ولكنا إذا تتبعنا أعاريض بقية الأبيات السابقة نجد منها المعصوب . ومنها غير المعصوب ، فعروض الثانى (وتى عنها) معصوبة ، وعروض الثالث وهى (آنـة) غير معصوبة ، وعروض الرابع وهى (ل نصح النا) معصوبة .

أما إذا استعرضنا الأضرب ، فإننا نجدها على الترتيب (ب من ذنبِ ، نةِ الرطب ، دَة الكرب) ، وكلها معصوبة .

إذاً فالعصب إذا دخل العروض لم يلزم ، وتسمى برغم العصب(١)

---

(١) نوع من الزحاف ، والزحاف تغيير مختص بثوانى الأسباب ، وهذا قد دخل السبب الثقيل (كما زعموا) وهو (عل) من (مفاعلتن) فقد غيرت حركته إلى سكون . وجمهور العلماء على أن الزحاف لايلزم ، فاذا دخل عروضا او ضربا لم يجب استمراره فى القصيدة كلها، ولكن بعض المحققين كالدماميني فى الغامزة ، ويرون ان منه مايلزم . ومنه مايفارق .

صحيحة ، ولكنه إذا دخل الضرب لزم ، ولا يمكن تصحيحه ، ولذا يسمى معصوبا .

والنتيجة : أن الوافر يكون تاماً ، ويكون مجزوءاً .

١ — فالتام عروضه وضربه مقطوفان .

٢ — والمجزوء :

(ا) عروضه صحيحة وضربه صحيح .

(ب) أو عروضه صحيحة وضربه معصوب .

أبيات للتدريب

١ — قال شوقي في ذكرى المولد :

سلوا قلبي غداةَ سلا وثابا لعلّ على الجمال له عتابا
ويسأل في الحوادث ذو صواب فهل ترك الجمال له صوابا
وكنتُ إذا سألت القلب يوما تولى الدمعُ عن قلبي الجوابا
ولي بين الضلوع دم ولحم هما الواهي الذي ثكل الشبابا
تسرب في الدموع فقلت ولي وصفق في الضلوع فقلت ثابا
ولو خُلقت قلوبٌ من حديد لما حملت كما حمَل العذابا
ولا يُنبيك عن خلق الليالي كمن فَقَد الأحبةَ والصحابا

فمن يغترُّ بالدنيـــا فإني   لبست بهـا فأبليت الثيـابا
جنيتُ بروضهـا ورداً وشوكا   وذقت بكأسها شهدا وصابا
فلم أرَ غـير حـكم الله حـكما   ولم أرَ دون باب الله بابا

٢ — وقال آخر[1] :

لمن نارُ بأعلى الخيـــف دون البئر ما تخبو
إذا ما أخمــدت ألقى عليهـــا المندلُ الرَّطب
أرقت لذكر موقعهـا لحـنَّ لذكرها القلب

٣ — وقال أبو دهبل الجمحي[2] :

ألا هـل هاجك الأظعـا   ن إذ جاوزن مطلحـا
نعـم ولوَشْك بينهـم   جـرى لك طائر سنحا
أجزن الماء من رَكَك   وضـوء الصبـح قد لحا
فقلن مقيلُنـا قـرنٌ   نباكـرُ ماءهُ صبحـا
تبعتهمُ بطـــرف العيـ   ـن حتى قيل لى افتضحا
يودع بعضنـــا بعضـا   وكلٌّ بالهـوى جُرحـا

* * *

---

(١) الأغانى ١ : ٣١٧   (٢) الأغانى : ٣ ، ٣١٢

تطبيقـــات

١ – قطع الأبيات الآتية :

(ا) إذا غامرت فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم المـوت فى أمر حقير كطعم الموت فى أمر عظيم
وكم من عائب قولا صحيحاً وآفته من الفهم السقـــيم
(ب) ربابةُ ربـــةُ البيت تصب الخـــلَّ فى الزيت
لهـــا عشر دَجاجات وديك حسن الصـــوت
(ج) هى الأيام والعـــبر وأمرُ الله ينتظـــــر
أتيأس أن ترى فـــرجاً فأين الله والقـــدر ! ؟

٢ – بين العلة والضرب فيما يأتى ، وما حدث لهما من تغيير :

(ا) وكن كالموت لا يرثى لباك بكى منه ، ويروى وهو صاد
فإن الجرح ينفرَ بعد حين إذا كان البناء على فســاد
(ب) إذا ما كنت فى سعـــة فـــلا تنس المقلينـــا

٣ – إذا ما الملك سام الناس خسفا أبينا أن نقرَّ الذلَّ فينـــا

اضبط لام (الملك) فى الشطر الأول ، وبين سبب الضبط .

٤ – كأن ثيابه أطلعن من أزراره قمرا

بين آخر الشطر الأول ، واستدل لذلك .

الهزج

وينبنى هذا البحر من (مفاعيلن) ، أى على وتدفسببين ، ست مرات . ولـكنه لم يجىء تاماً إلا شذوذاً . والـكثير أن يستعمل مجزوما ، فيـكون تركيبه من تفعيلتين فى الشطر الأول ومثلهما فى الشطر الآخر :

(ا) فقول عمر بن أبى ربيعة :

وهيفـــاء كما تهْوَى تُريك القــدَّ والخدا
فيـــالله ما أحـــلى وما أشهى وما أندى !!

يوزن هكذا :

وهيفاءَ (مفاعيلُ) كما تهوى (مفاعيلن) . وهى العروض .

تريك القدْ (مفاعيلن) دَ والخدَّا (مفاعيلن) وهو الضرب . فأنت ترى أن العروض صحيحة وأن الضرب كذلك[1] .

وعلى هذا النحو جاء قول شوقى على لسان أنطونيو مخاطباً كلوبترا ؛ وقد فرت بأسطولها :

وبى من صبرك الواهى جراح الأمس لَم تَبرَا
لقـد مدَّيْتَ أسطـولى لدى أسطولك النصرا
حليف كنت أرجو أن ســأشتــدَّ به أزرا

---

(١) قد يشتبه معصوب الوافر ، إذا جرى العصب فى العروض والضرب ، بصحيح الهزج إذا جرت الصحة فيهما . فإذا صادفك مثل هذا فانظر فى القصيدة كلها ، فان وجدت تفعيلة واحدة بوزن (مفاعلتن) بتحريك الخامس فهى من الوافر ، وإلا فهى من الهزج . وإذا أتاك بيت مفرد ، كل تفعيلاته ساكنة الخامس فهو من الهزج .

فهبّا تحت أعـــــلامك حتى زحـــم البحرا
وقـد كانا الجناحَــــين وقـد كنت أنا النسرا
وأجرى الفُلْكَ اكتافيو فأجريتُ كما أجــرى
صـــفقناها وأرسلناـــا بهـــا تقتحم الجـــرا
كلانا مارسَ الحـــربَ وعانى الـكرَّ والفــرَّا
فلمـــا آذنتنـــا الحر بُ بالمعركة الـكبرى
تسلَّلتِ بأسطـــولـــ ــك فى غمرتهـــا الحرّى
فقلتُ انسحبت ضعفـــا وقال النـــاس بل غَــدرا
ولو كان لهـــم قلب كقلبى التمسوا العـــذرا

***

(ب) وقول الآخر :

جميل الوجـــه أخـــلانى من الصـــبر الجميـــل
حملت الضيم فيـــه من حسود أو عـــذول

يقطع هكذا :

جميل الوج (مفاعيلن) ه أخلانى (مفاعيلن) وهى العروض .

من الصبر الـ (مفاعيلن) جميل (مفاعى) وهو الضرب .

فأنت ترى أن العروض صحيحة كسابقتها،أما الضرب فحذوف منه(لن) وهو سبب خفيف ، وحذف السبب الخفيف يسمى عندهم حذفاً كما عرفت آنفاً

فالعروض إذن صحيحة ، والضرب محذوف .

وهذا الوزن نادر ، حتى إن بعض الباحثين[1] رجح أنه صناعة عروضية ، وهو ما نميل إليه ، لأنه بنى على شاهد منعزل منفرد ، لا ندرى شيئاً عن القصيدة التى أخذ منها ، وهذا الشاهد هو :

وما ظهرى لباغى الضيم بالظهر الذلول

والنتيجة :

أن الهزج يكون مجزوءاً دائماً .
وأن عروضه تكون صحيحة أبداً .
وضربها يدور بين الصحة والحذف .

أبيات للتقطيع

قال الفِنْد الزِّمَّانى :

صفحنا عن بنى ذهل وقلنا القوم إخوان
فلما صرّح الشر فأمسى وهو عريان
شددنا شدّةَ الليثِ غدا والليثُ غضبان
بضرب فيه توجيع وتفجيع وإقران[2]
وطعنٍ كفم الزقِّ غدا والزقُّ ملآنُ[3]
وبعضُ الحلم عندَ الجهلِ للذلة إذعان
وفى الشرِّ نجاةٌ حين لا ينجيك إحسانُ

(١) هو الأستاذ إبراهيم أنيس فى كتابه موسيقى الشعر : ص ١١٢ .
(٢) الإقران : التتابع . (٤) الزق : القربة .

تطبيقات

١ - قطع الأبيات الآتية وبين عروض كل منها وضربه.

قال بشار يحاكى مذهب ابن أبى ربيعة، فى المراسلة بالمقطوعات الغرامية.

منَ المشهـــور بالحب إلى قاسيـــة القلبِ
سلامُ الله ذى العرش على وجهك يا حِبى
فـأما بعدُ يا قر ة عيـــنى ومنى قلبى
ويانفسى التى تسكر ن بين الجنب والجنب
لقـــد أنكرت ياعبدَ جفا منك فى الـكتب
أعَنْ ذنبٍ ؟ فلا والـلّـــه ما أحدثت من ذنب؟!

٢ - أمن الهزج أم من مجزوء الوافر البيتان الآتيان، ولماذا ؟

قال على محمود طه :

هناك على رُبَا الوادى لنا مهـــد من العُشْب
يلفُّ الصمت روحَينا ويشـــدو بلبل الحب

٣ - قال بشار يتغزل :

أبا طَابُ لقـــد طِبتِ وما طِيبُكِ الطيبُ
ولـكن نَفَسٌ منك إذا شمـــكِ تقريب
وثغر بارد عـــذب جرى فيـــه الأعاجيب
ووجه يشبـــه البدر عليـــه التاج معصوب

ووحفٌ زانَ متنيك وزانته التقاصيب[1]
ونحر بين حقَّين يشفّ العينَ مشبوب
وحب لك قد شاع وبيت لك منسوب
فلو ساعفنا وجم لك والدِّرياق والطِّيب[2]
أعشناك وعشنا بك إن العيش محبوب

(ا) بين عروض الأبيات : الأول والثانى والثالث ، وحكمها من حيث الصحة وعدمها .

(ب) بين أضرب الأبيات : الرابع والخامس والسادس ، وحكمها من حيث الصحة أو غيرها .

(حـ) قطع البيت السابع .

(د) افصل الشطر الأول عن الشطر الآخر ، فى كل من البيتين الأخيرين ، معتمداً فى ذلك على التقطيع .

---

(١) الوحف : الشعر الكثيف الأسود .
(٢) الدرياق : الخمر .

٣ – الكامل

ويتكون البيت فى هذا البحر من ست تفعيلات ، كل منها مركب من فاصلة صغرى فوتد مجموع . ووزنها العروضى (متَفاعلن) .

ويأتى تاما مركبات من ثلاث تفعيلات فى كل شطر ، ومجزوءا مركبا من تفعيلتين فى كل .

أولا : الكامل التام

١ – (١) قال ابن الرومى :

وإذا امرؤٌ مدح امرأً لنواوله   وأطال فيه ، فقد أراد هجاءه
لولم يقدر فيه بعد المستقى   عند الورود لما أطال رشاءه

وإذا أمرؤ (متفاعلن) مدح امرأ (متفاعان) لنواله (متفاعان) وهى العروض . وأطال في (متفاعلن)ـه فقد أرا (متفاعلن) د هجاءه (متفاعلن) وهو الضرب..

إذن : فالعروض الأولى صحيحة ، وضربها كذلك .

وقد جاء على ذلك قول شوقى فى النفس معارضا ابن سينا :

ضمِّى قناعك ياسماد أو ارفعى   هذى المحاسنُ ماخُلقن لبرقع
الضاحيات الضاحكات ودونها   سِتر الجلال وبعدُ شأو المطلع
يادمية لايستزاد جمالها   زيديه حسنَ المحسن المتبرع

ماذا على سلطانه من وقفة ‏ للضارعين وعطفة للخُشَّع
بل ما يضرك لو سمحت بجولة ‏ إن العروس كثيرة للتطلع
ليس الحجابُ لمن يعز منـاله ‏ إن الحجاب لِهَيِّنٍ لم يُمنـع

* * *

(ب) وقال أبو تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيـلة ‏ طويت أتاح لها لِسانَ حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ‏ ما كان يعرف طيبُ عَرفِ العود

وإذا أرا (متَفاعلن) د الله نش (متْفاعلن) ـر فضيلة (متَفاعلن)
وهى العروض ، طويت أتا (متَفاعلن) ح لها لسا (متَفاعلن) ن حسود
(متفاعِلْ) وهو الضرب .

فأنت ترى أن العروض صحيحة كسابقتها ، أما الضرب فقد خرج عن (متَفاعلن) ، وجاء على (متفاعِلْ) ، أى أن الوتد المجموع (عِلنْ) قد حذف ساكنه وهو النون ، وسكنَ ما قبله وهو اللام فصار (عِـلْ) . وحذفُ ساكن الوتد المجموع ، وإسكان ما قبله ، يسمى قطعاً .

إذاً : فالضرب مقطوع .

وقد جاء على ذلك قول شوقى يتغزل :

لك أن تلوم ولى من الأعذار ‏ أن الهوى قـدر من الأقـدارِ

ما كنت اسلم للعيون سلامتى وأبيح حادثة الغرام وقارى

وطر تعلّقه الفؤادُ وينقضى والنفس ماضية مع الأوطار

يا قلب شأنك لاأمدك فى الهوى أبداً ، ولا أدعوك للاقصار

أمرى وأمرك فى الهوى بيد الهوى لو أنه بيدى فككت إسارى

مَثلُ الحياة تحبُّ فى عهد الصبا مَثل الرّياض تُحَب فى آذار

(حـ) وقال الجُمَحىُّ :

عُقم النساء فما يلدن شبيهه إن النساء بمثله عُقم

نَزْر الكلام من الحياء تخاله ضَمِنا ، وليس بجسمه سقُم

عقم النسا (متَفاعلن) ء فما يلد (متفاعلن) ن شبيهه (متفاعلن) وهى العروض .

إنّ النسا (متْفاعلن) ء بمثله (متفاعلن) عُقم (مُتْفَا) ، وهو الضرب فالعروض صحيحة كما ترى ، أما الضرب فقد خرج عن (مُتفاعلن) إلى (مَتْفا) ، فكيف تم ذلك الخروج ؟ لقد حذفَ الوتد المجموع (عِلن) كله ، فصارت (متَفا) بتحريك التاء ، وهذا الحذف يسمى (حذذا) ، ثم سكن الثانى ، فصار (متْفا) وتسكين الثانى يسمى إضمارا .

إذن ، فالضرب قد دخله الحذَذُ والإضمار ، فهو أحذُّ مضمر .

وهذا الضرب الذى يدخله الحذذ والإضمار ثم تكون عروضه صحيحة

نوع عصِى نادر فى الشعر العربى ، فإنك لا تجد منه إلا الأبيات المفردات ، كقول عمر بن أبى ربيعة :

ولقد عصيت ذوى القرابة فيكم طرًّا وأهلَ الوُد والصِّهرا

وقوله من قصيدة أخرى:

فأجبتها إن المحب مكلف فدعى العتـاب وأحدثى بذلا

وكقول المسيب بن عَلَس :

ولقد رأيت الفاعلين وفعلَهم فَلِذى الرُّقَيبَة مالكٍ فَضْلُ
كفَّاهُ مخلِفَةٌ ومُتْلِفَةٌ وعطاؤه متدفق جزلُ

وبعض أبيات أخرى منثورة فى القصائد ، ومن ثم يميل الباحثون إلى عدم اعتبار هذا النوع من الأوزان أصلا برأسه ، لأنه لم تجر عليه قصيدة كاملة . وإنما يأتى به الشعراء للتنويع والتغيير ليس غير[1] .

( ) موسيقى الشعر للدكتور إبراهيم انيس ص ٦٥ ، المرشد للدكتور المجذوب ج ١ ص ١٧٢ .

على أنى قد ظفرت بقطعة تنسب للبحترى ، فى قتل المستعين (أحمد بن محمد) ، من هذا النوع وفيها يقول :

لله در عصـابة تركية ردوا نوائب دهرهم بالسيف
قتلوا الخليفة أحمد بن محمد وكسوا جميع الناس ثوب الخوف
وطغوا فأصبح ملكنا متقسما وإمامنا فيه شبيه الضيف

والنتيجة :

أن الـكامل التام إذا كانت عروضه صحيحة،فقد يكون ضربه صحيحاً، وقد يكون مقطوعاً ، وقد يكون أحذ مضمراً .

* * *

٢ — (١) قال بشار :

لا يُؤيسنَّك من مُخبَّـأة قول تُغَلِّظُه وإن جَرحا
عُسْر النسـاء إلى مياسرة والصَّعْبُ يمكنُ بعد ما جمحا

لا يونسنْ (متْفاعلن) نك من مُخَبْ (مُتَفَاعلن) بـأة (متفا) وهى العروض .قولُ تغلْ (متْفاعلن) لِظهُ وإن (متَفاعلن) جرَحا (متفا) ، وهو الضرب .

فأنت ترى أن كلا من العروض والضرب ، قد ثبت على (متفَا) وهذا هو الحذذ ، فالعروض حذاء ، والضرب أحذ .

وعليه قول ابن أبى ربيعة :

قال الخليطُ غداً تَصَدُّعنـا أو بعـده أفَلا تُشَيِّعنَا
أما الرحيل فدون بعدِ غدِ فمتى تقولُ الدارُ تجمعنـا
لتَشوقُنا هنـد وقد علِمت علمـاً بأن البين يُفزِعنـا
عجباً لموقفنـا وموقفهـا وَبِسَمْع تربيها ترَاجعنـا
ومقالهـا سِرْ ليلة معنـا نعهد ، فإن البين فاجِعُنـا

قلت العيون كثيرة معكم وأظن أن السير مانعنا
لا بل نزوركم بأرضكم فيطاع قائلكم وشافعنا
قالت : أشيء أنت فاعله هذا لعمرك أم تخادعنا ! ؟

* * *

(ب) وقال الشريف الرضي :

ولقد مررتُ على ديارهمو وطلولها ليد البلى نَهْبُ
وتلفتت عيني فمذ خفيت عني الطلول تلفتَ القلبُ

ولقد (مرر (متفاعلن) ت على ديا (متفاعلن) رهمو (متفا) ، وهي العروض ، أصابها الحذذ . وطلولها (متفاعلن) ليد البلى (متفاعلن) نهب (متْفَا) . وهو الضرب ، أصابه الحَذَذُ والإضمار .

إذن فالعروض حذاء . والضرب أحذ مضمر .

وعلى هذا النسق جاء قول الأحوص :

قالت وقلت تحرَّجي وصِلي حبل امرئ كلف بكم صبِّ
واصِلْ إذن بعلي . فقلت لها الغدر شيء ليس من ضربي
ثنتان لا أدنو لوصلهما عرسُ الخليل ، وجارة الجَنْب
أما الخليل فلست فاجعه والجار أوصاني به ربي
عوجوا كذا نذكر لغانية بعض الحديث مطيَّكم صحبي[1]

(١) الأغاني ج ٤ ص ٢٦٤ .

والنتيجة :

أن الكامل التام ، إذا كانت عروضه حذاء ، فضربها يمكن أن يكون أحذ فقط ، ويمكن أن يكون أحذّ مضمراً .

ثانيا : الكامل المجزوء

(١) قال الرصافي .

ياقــــوم لاتتكاموا إن الكلام محرم
ودعوا التفهم جانبــاً فالخــير ألا تفهموا

ياقوم لا (مُتفاعلن) تتكاموا (متَفاعلن) وهى العروض صحيحة كما ترى .

إن الكلا (مُتفاعلن)م محرّم (متفاعلن) وهو الضرب صحيح كذلك
ومن هذا النوع جاء قول شوقى يخاطب طائراً غرداً حبيباً جعله رمزاً للمرأة المحجبة :

ياليت شعرى يا أسيــ ر شج فؤادك أم خلى
وحليف سهد أم تنا م الليل حتى ينجلى
بالرغم منى مانعا لج فى النحاس المقفل
حرصى عليك هوى ومن يُحرزْ ثميناً يبخل
والشح تحدثه الضرو رة فى الجواد المجزل

أنا إن جمالتك في نضا ر بالحرير مجلل
ولففته في سوسن وحففته بقرنفل
وحرقت أذكى العود حو ليه وأغلى الصندل
وأمرت بابني فالتقا ك بوجهه المتهلل
بيمينه فالوذج لم يهد للمتوكل
وزجاجة من فضة مملوءة من سلسل
ما كنت يا صداح عنـ دك بالكريم المفضل
شهد الحياة مشوبة بالرق مثل الحنظل
والقيد لو كان الجما ن منظما لم يحمل .

* * *

(ب) وقال حافظ يصف طيارة .

فإذا علت فكدعوة الـ مظلوم تخترق الستار
وإذا هوت فكما هوت أنثى العقاب على المزار

فإذا علت (متفاعلن) فكدعوة ال (متَفاعلن) وهي العروض، وأنت تراها صحيحة، مظلوم تخ (متْفاعلن) ترق الستار (متَفاعلان)، وهو الضرب أصله (متفاعلن) زيد عليه ساكن فصار (متفاعلن ن) والتقاء الساكنين هكذا يعسر النطق به، فحولت النون الأولى ألفا، فصارت (متفاعلان)، ولا ضير من هذا التحويل، إذ هو استبدال ساكن بساكن، وزيادة

الساكن على ما آخره وتد مجموع تسمى (تذييلا) ، فالضرب دخله التذييل .

إذن ، فالعروض صحيحة ، وضربها مذال . وقد جاء على ذلك قول محمود غنيم ، تحت عنوان جنازة السلام :

أرأيت إذ وُلد السلام فدموه من قبل الفطام[1]
وضعته أوربا لنا يا ليت أوربا عُقامْ
طفل برىء ذاق من يد أمه كأس الحمام
لهفى عليه ممزق الـ أوصال منتثر العظام
عصفت به ريح الوغى عصفاً وغطاه القَتام
فقضى شهيدا ماله قبرٌ يزار ولا مقام
ليس السلام بسائد ما دام فى الدنيا حطام

* * *

(ج) وقال بشار :

وكأن رجْع حديثها قطعُ الرياض كُسين زهراً
وكأن تحت لسانها هَاروتَ ينفث فيه سحرا

وكأن رج (متفاعلن) ع حديثها (متفاعلن) وهى العروض صحيحة كما ترى .

(١) يلاحظ أن العروض فى البيت الأول مذالة كالضرب ، وإنما ذلك من أجل التصريع وفيه يستباح ما يحظر فى سواه .

قطع الربا (متفاعلن) ض كـين زهرا (متفاعلاتن) وهو الضرب أصله (متفاعلن) زيد عليه سبب خفيف ، أى متحرك وساكن فصار (متفاعلن تن) ، ولتنطق كلمة واحدة جعلت النون الأولى ألفاً ، وهو تغيير لاضير منه ، لأنه — كما عرفت — استبدال ساكن بساكن فصار (متفاعلاتن) وزيادة السبب الخفيف (هنا) تسمى ترفيلا ، فالضرب دخله الترفيل .

إذن فالعروض صحيحة ، والضرب مرفل .

وعلى هذا النحو قول السيد الحميرى .

امرر على قـبر الحسيـ ن وقل لأعظمه الزكية
آ أعظماً لا زلت من وطفاء ساكبةٍ روية
وإذا مررتَ بقبْره فأطِل به وقف المطيه
وابكِ المطهَّر للمطهْـ ر والمطهَّرةِ النقيةْ
كبكاء معْولةٍ أتت يوما لواحدها المنيةْ

تلك هى الأنواع الثلاثة التى يجيء عليها مجزوء الكامل ، وهى شائعة فى الشعر العربى ، يطرقها الشعراء ويرتاحون لموسيقاها .

على أن أهل العروض قد حدثوا فى كتبهم عن نوع رابع لمجزوء الكامل قالوا : إن أبياته تنتهى بوزن (متفاعل) ، أى أن ضربه مقطوع .

وهم يسوقون لهذا بيتاً واحداً لا ندرى قائله .

وإنما نراه يتردد فى كتبهم دون ذكر لناظمه ، أو إشارة إلى القصيدة التى اقتبس منها ، وهذا البيت المفرد هو :

وإذا همو ذكروا الإسا ءة أكثروا الحسنات

وأكبر الظن أنه وليد صناعة عروضية ، وليس من الأوزان التى طرقها الشعر[1] .

والتنبيه:

أن مجزوء الكامل لابد أن تكون عروضه صحيحة ، أما ضربه فيدور بين الصحة ، والتذييل ، والترفيل .

* * *

مقطوعات للتدريب

١ - قال شوقى يرثى مصطفى لطفى المنفلوطى ، وقد مات يوم أصيب الرئيس سعد زغلول برصاصة مجرمة :

اخترت يوم الهول يوم وداع ونعاك فى عصف الرياح الناعى
هتف النعاة ضحاً فأغلق دونهم جرحُ الرئيس منافذَ الأسماع
من مات فى فزع القيامة لم يجد قدماً تشيع أو حفاوة ساعى

(١) موسيقى الشعر : ص١٠٧ بتصرف.

ماضر لو صبرت ركابك ساعة … كيف الوقوف وقد أهاب الداعى
خل الجنائز عنك لاتحفل بها … ليس الغرور لميت بمتاع
سر فى لواء العبقرية وانتظم … شتى المواكب فيه والأتباع
واصعد سماء الذكر من أسبابها … واظهر بفضل كالنهار مذاع
فجع البيان وأهله بمصورٍ … لبق بوشى المتعات صناع
لم يجحد الفصحى ولم يهجم على … أسلوبها ، أو يُزر بالأوضاع
لكن جرى والعصرَ فى مضمارها … شوطاً ، فأحرز غاية الإبداع
حر البيان قديمه وجديده … كالشمس جِدةَ رقعةٍ وشعاعِ

٢ — وقال يرثى عليًّا أبا الفتوح :

ياراحلا أخلى الديا … ر وفضله لم يرحل
تتحمل الآلام إثر … شبابه المتحمل
مشت الشبيبة جحفلا … تبكى لواء الجحفل
الله — فى وطن ضعيـ … ف الركن واهى المعقل
وأب وراءك حزنه … لنواك حزن المثكل
ونجيبة بين العقا … ئل همها لاينسلى
فكأن آلك من شجٍ … ومتيّم ومرمل
آل الحسين بكربلا … فى كربة لاتنجلى
فاذهب كما ذهب الحسيـ … ن إلى الجوار الأفضل
فكلاكما زين الشبا … ب بجنة الله العلى

* * *

تطبيقات

١ - حوراء إن نظرت إليك سقتك بالعينين خمراً .

ما القلب إلا دارهُ دقتْ له فيها البشائرْ
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلى وتكرمى
أمعفرَ الليث الهزبر بسوطه لمن ادخرت الصارم المصقولا ؟!
وإذا شربت فإننى رب الخورنق والسدير

(ا) افصل الشطر الأول عن الثانى فى البيت الأول .

(ب) بين ضربى الثانى والأخير ، وما لحقهما من تغيير .

(ج) قطع البيت الرابع وبين عروضه وضربه .

(د) هل هناك فرق فى حال العروض والضرب فى البيتين الثالث والرابع ، وإذا وجد فما هو ؟

٢ - طرقتك زائرةً فحىِّ خيالها بيضاء تخلط بالجمال دلالها
فَم للخليل بوده ماخيرُ ودٍ لا يدوم ؟
عتهمُ الك سخطة لم تُبق منهم باقية

(ا) هات الأضرب فى الأبيات الثلاثة ، وبين مافيها من تغيير .

(ب) غير كلمة (دلالها) بكلمة (دلالا) فى الأول .
وكلمة (لايدومْ) بكلمة (لم يدم) فى الثانى ،
وكلمة (باقية) بكلمة (باقيا) فى الثالث
وبين أثر ذلك فى صفة الأضرب .

٣ – قطع الأبيات الآتية ، وبين عروضها وضربها ، وصفة كل :

(ا) بأبى وأمى غادة فى خـــدها ۞ سحر وبين جفونها ســـحر
(ب) كم حاسد حنق على بلا ۞ جرم ، فلم يضررنى الحنق
(ج) وغررتنى وزعمت أ ۞ نك لابن فى الصيف تامر
(د) إرجع إلى سكن تعيش به ۞ ذهب الزمان وأنت منفرد
ترجو غدا ، وغد كحاملة ۞ فى الحى ، لايدرون ماتلد !

٤ – قال النحاة فى البيت :

طلب الأزارق بالكتائب إذا هوت ۞ بشبيب غائلة النفوس غدور

إن منع صرف (شبيب) ضرورة

بين وجه ذلك ، وما الذى يترتب على الصرف

٤ — الرجز

ويتكون البيت من هذا البحر ، من (مستفعلن) مكررة ست مرات ، فى كل شطر ثلاث تفعيلات ، ويسمى حينئذ تاما ، وربما تكون من (مستفعلن) مكررة أربع مرات ، فى كل شطر تفعيلتان ، ويسمى حينئذ مجزوءا .

وقد يتكون من (مستفعلن) مكررة ثلاث مرات ، فيكون كأنه شطر من البيت التام ، ولذا يسمى مشطورا . فاذا رأيت البيت مكونا من (مستفعلن) مرتين ، فذلك هو المنهوك .

أولا : الرجز التام

قال ابن دُرَيْد فى المقصورة .

من لم يعظهُ الدهر لم ينفعه ما راح به الواعظ يوما أو غدا
من لم تفِده عِبرا أيامه كان العمى أولى به من الهدى

مَن لم يَعظْ (مستفعلن) ـهُ الدهْـر لم (مستفعلن) ينفعه ما (مستفعلن) وهى العروض صحيحة كما ترى .

راح به الـ (مستَعلِن) ـواعظ يو (مستعلن) مًا أو غداً (مستفعلن) وهو الضرب صحيح أيضا[1] .

(١) ولا قيمة لحذف الرابع الساكن فى التفعيلتين الرابعة والخامسة ، ويسمى عندهم (طيا) لأنه يطرأ ويزول .

إذن فالعروض والضرب صحيحان:

وقد جاء على هذا الأصل قول شوقى على لسان أنطونيو، يخاطب أولمبوس الطبيب سائلا عن كليوبترا:

مررتَ بالقصر فكيف ناسهُ ... هل عن كلوبترا ـ ألمبوس ـ نبا ؟
صرِّح أبن قل غدرَتْ آل جددت ... بقيصرَ الثالثِ دولةَ الهوى
قد صنعت بى عند حاجتى لها ... مالم يكن يصنعه بى العدا
أسطولها إلى مراسيه أوى ... وجيشها ألقى السلاح ونجا

وقول ألمبوس له :

مولاى مهلا فى الظنون واتئد ... إن من الظنّ اتهاما وَأذى
أنت على مالك من مروءة ... رميتَ بالغدْر أحبَّ مَنْ وَفى ؟

(ب) وقال مهيار :

فى كل دار ناعق يخبط فى ... جنبىَّ وهْو خاطب ودادى
وحالمٌ لى فإذا استمددته ... فى يوم روع مال بالرقاد

فى كل دا (مستفعلن) ر ناعق (مستفعلن) يخبط فى (مستعلن)

وهى العروض، حذف منها الرابع الساكن ويسمى ذلك (طيا)، وكان من حقها أن ندعوها (مطوية)، ولكن لما لم يلزم ذلك الطى فى أخواتها عدَّ كأنه لم يكن، ولذا تسمى صحيحة .

جنبى وهـ (مستفعلن) وَخاطب (مستفعلن) ودادى (متفعِلْ) وهو الضرب حذف ساكنه الثانى حذفاً غير معتبر لعدم لزومه فى أخوته من الأضرب ، ثم حذف ساكن الوتد المجموع (علن) وسكن ما قبله ويسمى ذلك (قطعاً) ، وهو سائر فى القصيدة كلها ، فإذا جاء بيتها الأول مقطوع الضرب ، وجب أن تجيء الأضرب فى باقى القصيدة مقطوعة ؛ لذا يسمى هذا الضرب (مقطوعاً) .

إذن فالعروض صحيحة ، والضرب مقطوع .

وقد جاء على هذا الوزن قول مهيار :

كالشمس من جمرة عبد شمس　　غضبى سخت نفسى لها بنفسى
ماطلة غريمها لا يقضى　　ديونه ودينهـا لا يُنسى
فى بلد يحرم صيد وحشه　　وهى به تحل صيد الإنس
ترى دم العشاق فى بنانها　　علامة قد موِّهت بالورس

والتنبيه :

أن تام الرجز لابد أن تكون عروضه صحيحة ، وأن ضربها يجرى عليه الصحة والقطع .

ثانياً ـ الرجز المجزوء

قال عمر بن أبى ربيعة :

خَود يفوح المسك من　　أردانها والعنبر

يضيق عن أردافها إذا يلاثُ المئْزر

خود يفو (مستفعلن) ح المسك من (مستفعلن) ، وهي العروض صحيحة.
أرادنها (مستفعلن) والعنبر (مستفعلن) ، وهو الضرب صحيح كذلك .

فمجزوء الرجز لابد أن تكون عروضه صحيحة ، وضربه صحيحاً .

وقد جاء منه قول كليوبترا تخاطب أنطونيو :

ليس العبوسُ سُنَّةَ لوجهك الطلْق الندى
ولست من يغضب في ليل الشراب والدد
ولست للكأس على شاربها بالمفسد
قلبك كنزُ الحب والرَّ رحمة والتودُّد
فاطوِ معي حوادث الـ أمس ، ولا تجدد
وامض معي في لذة الـ يوم ودَعْ همَّ الغد

ثالثا — الرجز المشطور

١ — قد شمرت عن ساقها فشدوا
وجدَّت الحربُ بكم ، فجِدوا

هذان بيتان :

قد شمرت (مستفعلن) عن ساقها (مستفعلن) فشدوا (مُتْفَعِل) .

وهي العروض والضرب معاً ، حذف الثاني حذفاً غير لازم ولا معتبر ،

فصارت (متفعلن) ، وحذف ساكن الوتد المجموع ، وسكن ماقبله ، وهو القطع كما عرفت فصارت (متفعلْ) ، فالعروض والضرب مقطوعان .

قد جاء على هذا الوزن قول بشار يمدح عقبة بن مسلم :

يا طللَ الحيّ بذات الصمْدِ
بالله خبرٌ كيف صرت بعدى
أقفرت من دعد وتِرب دعد
سقيا لأسماء ابنة الأشدّ
قامت تَراءى إذ رأتنى وحدى
كالشمسْ تحت الزِّبرج للنقدّ
صدّت بخد وجلت عن خد
ثم انثنت كالنفس المرتد
عهدى بها سَقيا له من عهد
تخلف وعداً وتفى بوعد
فنحن من جَهد الهوى فى وجد

٣ ـــ وقد جاء فى الشعر قول القائل :

هذا أوان الشدّ فاشتدّى زِيَم
قد لَفها الليل بسواق حُطم

هذا أو مستفعلن ن اشدّ فاث (مستفعلن) تدّى زَيم (مستفعلن) وهى العروض والضرب معاً . وهما صحيحان كما ترى .

وعلى هذا الوزن جاء قول شوقى فى (توت عنخ آمون والبرلمان) :

قم سابق الساعة واسبق وعدها
الأرض ضاقت عنك فاصدع غمدها
واملأ رماحا غورها ونجـــدها
وافتح أصـول النيـل واستردها
شلالها ، وعذبها ، وعِدَّها
واصرف إليها جزرها ومدها
تلك الوجوه لا شكونا فقدها
بيَّضت القربى لنا مسوّدها

فقد علم أن المشطور ، قد يكون عروضه وضربه مقطوعين ، وقد يكونان صحيحين .

رابعاً : « الرجز المنهوك »

يا ليتنى فيهـا جذَعْ
أخبُّ فيها وأضـع

هذان بيتان أيضاً .

يا ليتنى (مستفعلن) ، فيها جذع (مستفعلن) العروض صحيحة ، وهى

الضرب ، فالمنهوك عروضه ضربه وهما صحيحان .

ومنه قول شوقي على لسان الجن ، وهم ينشدون :

الرقص يبعث الطَّربْ
هلم يا جن العرب
هلم رقصةَ اللَّهب
إذا مشى على الحطب
نحن بنو جهنما
نغلي كما تغلي دماً
نثور في الأرض كما
ثار أبونا في السَّما
نحن الرُّعود القاصفة
نحن الرياح العاصفة
والظلمات الزاحفة
عرمرماً ، عرمرماً
إنا ومالنا صوَر
نرى ونسمع البشر
ولا يرون من حضر
منا ومن تكلما

نقول حين نصطدم
بسادة أو نخدم
صمْ صمم صمم صمم
عمّى عمى عمى عمى

ملاحظة : قد يلتبس الكامل بالرجز فيما سكن فيه الثانى من (متفاعلن) فربما ظُن أنه (مستفعلن) ، مثال ذلك قول شوقى :

قم فى فم الدنيا وحىِّ الأزهرا   وانثر على سمع الزمان الجوهرا

فقد يخيل إليك أنها من الرجز التام الصحيح : ولكن الذى يحسم الأمر هو تتبع سائر أبيات القصيدة ؛ فإذا جاءت فيها تفعيلة واحدة ؛ تحرك منها الثانى فصارت (متفاعلن) فالقصيدة كلها من الكامل ، كما فى قصيدة شوقى فى الأزهر ، وإلا فهى من الرجز .

أمثلة للتدريب

١ — فى رواية مصرع كليوباترا ، يقول حابى للكاهن أونوبيس طالباً منه إنقاذ الوطن :

ربعَ الحمى أبى فكيـ   ـف للحمى لم تغضبِ
دع الأفاعى واشتغل   بالأفعوان الأجنبى
الوطن الملدوغ أو   لى اليوم بالمطبِّب

فأجابه الكاهن .

وأين كنت يا فتى | وأين فتيان الحمى
وأين فرسان اللقا | ل هل مضوا إلى الوغى
أدرتمو وجوهكم | ساعة دارت الرحى
تركتمو أنطونيو | س وحده يلقى العدا
من أجلكم سل السلا | ح، وإلى الحرب مشى
ما كان ضركم لو الـ | تففتمو على اللوا
أبعد أن حل على الـ | نيل وواديه القضا
ولم يجد من شيبه | ولا شبابه فدا
أتيت تدعونى كما | تدعو العجائز السما
الرأى ليس نافعاً | إذا أوانه مضى

٢ — وفى رواية عنترة تقول عبلة لناجية التى كانت تهوى صخرا العامرى ولا يهواها، بل كان يهوى عبلة وهى فيه زاهدة:

من عامر؟ أجل! عرفت بعضهم | ويخطبون عندنا من يا ترى
فتقول ناجية.

أظن بنت مالك عالمة | بكل ما جرى ويجرى فى الحمى
ومن عسى يخطب فى الحى سوى | عبلة ربة السناء والسنا؟
فتقول عبلة:

هازلة يا أخت أم مجنونة | أنت؟ أجاء القوم من أجلى أنا؟
فترد ناجية:

لا تنكرى يا عبل لا تجاهلى لم يبق سراً أمر ذلك الفتى

عبلة : فتى وممن الفتى ؟

ناجية : من عامر

عبلة : وما حداه نحو عبس ؟

ناجية : الهوى !

عبلة : وما اسمه ؟

ناجية : صخرٌ

عبلة : لعله الذى فى كل مغربٍ على الماء يُرى

ناجية : كيف ؟ أما تهوَينه عبل ؟

عبلة : اذهبى به متى أخذته منك متى ؟ !

٣ — قال أنشو مضحك الملكة كليوبترا متهكما على زينون أمين المكتبة :

سيدتى عبدك أنشو قد صدقْ

الفار فى مكتبة القصر نطق

يقول إن أسرق فزينون سرق

همّىَ فى الجلد وهمه الورق

يسطو على آثار كل من سبق

٤ — وجاء صخر يخطب عبلة ومعه هدايا ، فقال أخوها زهير لأخيه عمرو .

وتلك عمرو ؟

عمرو : طرحة مثلُ ذَنابى الطاوس

كلها ما لمستْ في الوشى كف لامس

عمرو مبتسما: هدية لعبلة ؟

صخر : مجلوبة من فارس

ثم أخذ صخر يتكلم عن طريقته في اغتيال عنترة :

غداً على العبد أصب النحسا

عبدين من شر العبيد نفسا

ومن أشدهم قوى وبأسا

إن صارعا جلود صخر صرعا

أو قارعا ضيغم غاب قرعا

أو رميا الشمس أصابا المطلعا

غضبان وهو المنيه

ومارد وهو حيه

كلاهما جنيه

تطبيقات

١ — قطع ما يأتي ، وبين العروض والضرب وصفتهما :

(ا) من ذا الذي ما ساء قطّ

ومن له الحسنى فقط !

(ب) إن البعير يكره الخشاشا

لكنه في أنفه ما عاشا

٢ - أمن الرجز أم من الكامل قول شوقى .

لولا الجمالُ وفتنة من سحره   ما حل فى قلبى هوًى اسواك

علل حكمك .

٣ - ليس براعى إبل ولا غَنَمْ

ولا بجزار على ظهر وضم

زن البيتين . وبين عروضهما وضربهما .

٤ - قال شوقى فى مملكة النحل :

تحمل فى العمال والصناع عبء السيطرة

فاعجب لعمال يولون عليهم قيصره

تفنى قوى الأخلاق ما تُفنى القوى المفكره

افصل الشطرين فى كل بيت من الأبيات الثلاثة ، وبين من أى نوع من أنواع الرجز هى ؟

٥ - قال النحاة فى البيتين :

وقاتم الأعماق خاوى المخترقْنْ

مشتبه الأعلام لماع الخفقْنْ

إن التنوين فى كل من الكلمتين الأخيرتين يسمى التنوين الغالى لأنه زيادة على الوزن .

فسر معنى قولهم زيادة على الوزن ، واحتج بالتقطيع لهذه الدعوى .

٥ — الرمل

وتقوم أبيات هذا البحر على سببين خفيفين ، بينهما وتد مجموع (ــ ــ ــ) ويوزن (فاعلاتن) ، وقد يكرر ست مرات فيكون تاما ، أو أربع مرات فيكون مجزوءا .

أولا — تام الرمَل

(١) قال عمر بن أبي ربيعة :

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد وشفَتْ أنفسنا مما نجد
واستبدَّت مرة واحدة إنما العاجزُ من لا يستبد

ليت هنــدا (فاعلاتن) أنجزتنا (فاعلاتن) ما تعد (فاعلا) وهى العروض ؛ حذف منها (تن) وهو السبب الخفيف ، وحذفه يسمى حذفاً ، فالعروض محذوفة .

وشفت أن (فعلاتن) فسنا مما (فعلاتن) ما نجد (فاعلا) وهو الضرب محذوف أيضا .

وعلى هذا الوزن جاء قول شوقي يتغزل :

رُدت الروح على المضنى معكْ أحسن الأيام يوم أرجعكْ
مرَّ من بعــدك ما روعنى أترى يا حلو بعدى روعك
كم شكوت البين بالليل إلى مطلع الفجر عسى أن يطلعك
وبعثت الشوق فى ريح الصبا فشكا الحرقه مما استودعك

يانعيمى وعذابى فى الهواى بعذولى فى الهوى ما جمعك
أنت روحى ، ظَلم الواشى الذى زعم القلب سلا أو ضيعك
موقعى عنـدك لا أعلمه آه لو تعلم عندى موقعك

(ب) وقال مهيار الديلمى :

يا لُواة الدَّين عن ميسرة والبخيلات وما كن لئاما
حلوا ريح الصبا نشركم قبل أن تحمل شيحا وثماما
وابعثوا لى فى الكرى طيفكم إن أذنتم لجفونى أن تناما

يالواة الد (فاعلان) دين عن مي (فاعلاتن) سرة (فعلا) وهى العروض ، حذف منها الثانى الساكن ، ويسمى خبنا ، إلا أنه لا يلزم ، ولذا لا تسمى مخبونة ، وحذف منها كذلك السبب الخفيف ، وهو المسمى حذفا فهى محذوفة .

والبخيلا (فاعلاتن) ت وما كنا (فعلاتن) ن لئاما (فعلاتن) ، وهو الضرب صحيح على الرغم مما لحقه من الخبن ، أى حذف الثانى الساكن فهو غير لازم .

وعلى هذا الوزن جاء قول شوقى يصف طيران الطائرة .

ذهبت تسمو فكانت أعقُبا فنسوراً ، فصقوراً ، فحماماً
تنبرى فى زورق الأفق كما سبح الحوت بدأماء وعاما
بعضها فى طلب البعض كما طارد النّسر على الجو القُطاما

ربِّ إن كانت لخير جملت فاجعل الخير ينادبها لزاما
وإن اعتز بهـا الشر غـدا فتعالت تمطر الموت الزؤاما
فاملأ الجو عليها رجمـاً رحمة منك وعدلا وانتقاما

* * *

(ج) وقال ابن حمديس :

كلُّ حسن كامل فى خَلقها ليتها تنجو من العين بعاب
فالقَوام الغصن ، والردف النقا الأوقاحى الثغر ،والطل الرضاب

كل حسن (فاعلاتن)كامل فى (فاعلاتن) خلقها (فاعلا) وهى العروض محذوفة كما هو بين .

ليتها تنـ (فاعلاتن) جو من العي (فاعلاتن) ن بعاب (فعلات) وهو الضرب أصله (فاعلاتن) حذف ساكن السبب الأخير ، وسكن ما قبله ، وهذا يسمى عندهم قصراً ، فالضرب إذن — مقصور ، ولا تعبأ بحذف الثانى الساكن المسمى خبنا ، فإنه غير لازم .

وعلى هذا الوزن قول شوقى فى أم المحسنين :

اخلعى الألقاب إلاّ لقبـا عبقريّا ، هو أم المحسنـين
ودعى المـال يسر سنته يمض عن قوم لأيدى آخرين
واقذفى بالهم فى وجه الثرى واطرحى من حالق عبء السنين
واسخرى من شانىء أو شامت ليس بالمبطىء يوم الشامتين
وتعزى عن عوادى دولة لم تدم فى ولد أو فى قرن

وازهدى فى موكب لو شئته　　لتغطى وجهها بالدارعين
رُب محمول على المدفع ما　　منع الحوض ولا حاط العرين
باطلٌ من أمم مخدوعـة　　يتحدون به الحق المبين

والتغيير:

أن عروض الرمل التام محذوفة دائماً .
وأن الضرب معها ، محذوف ، أو صحيح ، أو مقصور .

ثانياً — مجزوء الرَمَل

قال شوقى على لسان أنشو ، فى مجلس أنس :

تلك والله قضيةٌ　　أصبح الراعى رعيّة
حكم الحب على قيـ　　ـصر والحب بلية
صار كالشعب وساوى　　همج الإسكندرية

تلك والل (فاعلاتن)ه قضية (فعلاتن) وهى العروض صحيحة رغم الخبن .
أصبح الرا (فاعلاتن) عى رعية (فاعلاتن) وهو الضرب صحيح كما ترى
وعلى هذا الوزن جاء قول شوقى أيضا :

منك يا هاجر دائى　　وبكفيكَ دوائى
يا منى روحى ودنيا　　ى وسؤلى ورجائى
أنت إن شئتَ نعيمى　　وإذا شئت شقائى
ليس من عمرى يوم　　لا ترى فيه لقائى

وحياتى فى التدانى ومماتى فى التنائى
نم على نسيان عهدى فيك واضحك من بكائى

* * *

(ب) وقال الزهاوى :

لا تخافى لا تُراعى يا فتـــاة العرب
أنا أفديك بنفسى وبأمى وأبى

لا تخافى (فاعلاتن) لا تراعى (فاعلاتن) وهى العروض صحيحة.

يافتاة ال (فاعلاتن) مرب (فعلا) وهو الضرب، فيه خبن بحذف الثانى الساكن، وهو غير لازم، وفيه حذف السبب الخفيف الثانى، وقد عرفت أنه يسمى حذفاً. فالضرب محذوف.

ومثل هذا الوزن نادر جداً، وقد ذكره العروضيون، ولكن شواهده لم تسعفهم، وأشيع منه ما عروضه محذوفة كضربه، وقد جاء عليه قول السُلكة أم السُليك :

طاف يبغى نجوة من هلاك فهلكْ
ليت شعرى ضَلة أى شىء قتلك
أمريضٌ لم تُعدْ أم عدوٌ ختلك
أم تولى بك ما غال فى الليل السُلك
إن أمراً فادحاً عن جوابى شغلك
ليت قلبى ساعة صبرَه عنك ملك
ليت نفسى قدمت للمنايا بدَلك

(ح) وقال أبو نواس :

غرّد الديك الصدوح فاسقنى طاب الصبوح
واسقنى حتى ترانى جسداً مافيه روح

غرد الدي (فاعلاتن) لك الصدوح (فاعلات) وهى العروض صحيحة رغم ما فيها من القصر ، وهو حذف ساكن السبب وتسكين ما قبله ، فإنما ذلك مما قضى به التصريع ، فهو غير لازم .

فاسقنى طا (فاعلاتن) ب الصبوح (فاعلات) وهو الضرب حذف ساكن سببه الخفيف وسكن ما قبله ، وهذا هو القصر المعروف ، فالضرب مقصور .

وعليه قول شوقى :

قيسُ عصفورَ البوادى وهـزار الربواتْ
طرتَ من وادلواد وعمـرت الفلوات
إيه ياشاعر نجـد ونجىً الظبيات
أضمر الحب وأبدِ لأعف الفتيـات

والنتيجة :

أن مجزوء الرمل ، عروضه صحيحة .

وضربه ، تتعاوره الصحة ، والقصر[1] .

---

(١) وقد ذكر العروضيون ، أن هناك ضرباً مسبغاً تنقل فيه (فاعلاتن) إلى (فاعلاتان) بزيادة سبب خفيف . وهو وزن لاترتاح الأذن إليه ، وليس من الشعراء من نسج عليه ، والعروضيون لم يذكروا له شاهدا الا بيتين من كلام عدى بن زيد فيهما ضرورة هما :

أيها الركب المخبو ن على الأرض المجدون
وكما أنتم كنا وكما نحن تكونون

والظن أنها صناعة عروضية ليس غير .

أمثلة للتدريب

١ — قالت جليلة بنت مرة :

يا ابنة الأقوام إن شئت فلا   تعجلى باللوم حتى تسألى
فإذا أنت تبينت الذى   يوجب اللوم فلومى واعذلى
إن تكن أخت امرىء ليمت على   شفق منها عليه فافعلى
جل عندى فعل جساس فيا   حسرتى عما انجلت أو تنجلى
فعل جساس على وجدى به   قاصم ظهرى ومدن أجلى
يا قتيلا قوض الدهر به   سقف بيتى جميعاً من عل
هدم البيت الذى استحدثته   وانثنى فى هدم بيتى الأول

٢ — وقال شوقى :

يومنا فى أكتيوما   ذكره فى الأرض سار
اسألوا أسطول روما   هل أذقناه الدمار
أحرز الأسطول نصراً   هز أعطاف الديار
شرفاً أسطول مصراً   حزت غايات الفخار

٣ — وقال أيضاً بلسان الكاهن يخاطب كلوبترا :

عجب عينى لا تقوى على هذا الضياء
هذه كف إله جاء فى زى النساء

وقالت كلوبترا :

خلنى من زخرف المد ح ومن زور الثناء
ما وراء اليـد يا عر راف من غيب القضاء
أحضيض يومى الآ خر – قل لى – أم سماء
خاتم الأيام أولى باهتمام العظماء

فأجاب الكاهن :

ملكتى يومك فى الأبـام منشور اللواء
نابه الصبح كيوم الشمـ س علوى المسـاء
خطر العز عليه ومشى فيه الإباء
ثم يتلوه بقـاء لم يطاوله بقاء

تطبيقـات

١ – قال أبو نواس مادحاً ، مازحاً :

(ا) بح صوت المـال ممـا منك يشكو ويصيح
(ب) ما لرجل المال أضحت تشتكى منك الكلالا

(حـ) وقالت جليلة بنت مرة :

إننى قاتلة مقتـولة ولعل الله أن يرتاح لى

(د) وقالت أم السليك :

كل شيء قاتل حين تلقى أجلك

قطع الأبيات السابقة ، وصف العروض والضرب فى كل منها .

٢ — قال شوقى :

أنظر الشعب (ديونُ) كيف يوحون إليهِ
ملأ الجو هتافاً بحياتى قاتليه
أثر البهتان فيه وانطلى الزور عليه
يا له من ببغاء عقله فى أذنيه

لماذا لا توصف العروض والضرب فى البيت الأول بأنهما مخبونان مع أن ثانيهما الساكن محذوف ؟ استعن على إجابتك بتقطيع بقية الأبيات .

٣ — للبستى من أبيات البديع :

كلكم قد أخذ الجام ولا جام لنا
ما الذى ضر مدير الجام لو جاملنا

افصل الشطر الأول عن الثانى فى كل من البيتين .

٦ — المتقارب

ومبنى هذا البحر على (فعولن) ثم إنها قد تكرر ثمانى مرات ، فى كل شطر أربع ، فيسمى حينئذ تاما وقد تكرر ست مرات فقط ، فى كل شطر ثلاث ، فيسمى البيت حينئذ مجزوءاً .

أولا : تام المتقارب

(ا) قال ابن زيدون :

بُقصِّر قربكَ ليـــلى الطـويلا   وَيشـــفى وصـالك قلبى العليلا
وإن عصفت منك ريح الصدود   فَقَدْتُ نســيمَ الحياة البليـلا

يُقَصِّـ (فعولُ) رُ قُرْبُـ (فعولُ) لك ليلى اﻟ (فعولن) ـطويلا

(فعولن) وهى العروض . صحيحة كما هو ظاهر لك .

ويَشْـفى (فعولن) وصالُ (فعولُ) كَ قلبى الْـ (فعولن) عليلا

(فعولن) وهو الضرب ، صحيح كذلك .

وكثيراً ما يحذف الخامس (وهو هنا ساكن) فى العروض وفى الضرب وفى الحشو كذلك .

وعلى هذا الضرب جاء قول محمود غنيم :

وأطيبُ ساع الحياة لديا   عشـيةَ أخلو إلى ولديا
إذا أنا أقبلت يهتف باسمى الـــفطيم ويحبو الرضيــع إليَّـا
فأجلـس هذا إلى جانبى   وأجلس ذاك على ركبتيا

وأغزو الشتاء بموقد فخم وأبسط من فوقه راحتيا
هنالك أنسى متاعب يومى كأنى لم ألق فى اليوم شيًّا
فكلُّ طعام أراه لذيذاً وكل شراب أراه شهيا

* * *

(ب) وقال أبو الطيب عاتباً ، نافياً تهمة تنبثه :

فمالكَ تقبل زور الكلام وقدر الشهادة قدر الشهود
فكن فارقا بين دعوى أردت ودعوى فعلت بشأو بعيد

فَمَالَـ (فعولُ) لك تَقْبَـ (فعولُ) ـل زورَ الْ (فعولن) كلامِ (فعولُ) وهى العروض ؛ دخلها القبض دخولا غير لازم، ولذا توصف بالصحة

وقدر ش (فعولن) شهادَ (فعولُ) ة قدرُ ش (فعولن) شهودْ (فعولْ) وهو الضرب ؛ وقد حذف ساكن السبب وسكن ما قبله ، وذلك يسمى القصر كما عرفت آنفاً ، فالضرب مقصور ، وعلى هذا الأصل جاء قول الأستاذ العقاد يخاطب (النوم) :

أيا ملكا عرشه فى العيون يظلل دنيا الكرى بالجناح
ضممت عليك جفونا تراك أبرّ بها من وجوه الملاح
تلمّ بأهدابها فى الظلام فتنسى جبين الزمان الوقاح
وتدنى إلينا بعيد الرجاء إذا الدهر ما طلنا بالسماح
أراك خلقت لنا هدنة تعاوننا فى مجال الكفاح

* * *

(ح) وقال شوقي في أطفال المدارس .

عصافيرُ عند تهجّي الدروسِ   مهارٌ عرابيـــد في اللعبِ
وتلك الأواعي بأيمانهم   حقائب فيها الغـــد المختبي

عصافي (فعولن) رُ عند (فعولُ) تهجى الدْ (فعولن) روسِ (فعولُ)

وهي العروض مقبوضة قبضا لا يثبت ، ولذا لا يعتد به ، فتسمى على الرغم منه صحيحة .

مهارٌ (فعولن) عرابيـ (فعولن) دُ في الل (فعولن) عبِ (فعو)

وهو الضرب ، ذهب منه السبب الخفيف كله ، ولذا يسمى محذوفا .

والحذف علة ، والعلل من شأنها أن تلزم ، ولكن أزيدك تقطيع صدر البيت الآخر ، لأدلك على أمر قد يساورك منه اضطراب .

وتلك الْ (فعولن) أواعي (فعولن) بأيما (فعولن) نهمْ (فعو) وهذه هي العروض قد عراها الحذف ، وقد كانت منذ حين صحيحة، وأنتم تزعمون أن الحذف علة ، وأن العلة تلزم ، فلماذا يعروها الزوال هنا ؟

جواب العلماء : أن الحذف حقا علة ، والعلة — من شأنها اللزوم ، ولذا لزمت في الضرب ، ولكنها ههنا - أي في عروض المتقارب فقط — علة مفارقة ، لا تلزم .

وعلى هذا الوزن جاء قول أبي ماضي :

وددت الإفاضة قبـل اللقاءِ   فلمـــا لقيتكِ لم أنبس

وبت وإياك فى معـزل كأنى وإياك فى مجلس
ولو أن مابىَ بالطـود دك وبالأسـد الورد لم يفرس
هممت فأنكرنى مقـولى وشاء الغرام فلم أهجس
كأنى لست أمير الـكلام ولا صاحب المنطق الأنفَس
جلالك ، والليل فى صمته فلا غرو أن رحت كالأخرس
ومالت فطوّقها ساعدى منعمـــــة بضة الملمَس
وإن العفاف لفى بردها وإن الإباء لفى معطسى
وقلت وكفى فى كفها ألا صرحى لى أو فاهمسى
بلاء هو الحب أم نعمـة أجابت : تجلد ، ولا تيأس

(د) وقال المتنبى :

معـاذٌ ملاذٌ لزوارهِ ولا جار أكرم من جارهْ
كأن الحطيم على بابهِ وزمزم والبيت فى داره

معاذٌ (فعولن) ملاذ (فعولن) لزوّا (فعولن) رهِ (فعـو) وهى العروض ، محذوفة ، وقد عرفت أن الحذف فى عروض المتقارب التام علة قابلة للبرء ، ولذا توصف العروض بالصحة .

ولا جا (فعولن) رَأَكرَ (فعولُ) م مِنْ جا (فعولن) رِهْ (فع) ، وهو الضرب ، الأصل (فعولن) حذف السبب الخفيف . ثم حذف ساكن الوتد المجموع وسكن ما قبله ، وهذا يسمى (بترا) فالضرب أبتر .

وعلى هذا النحو جاء قول السيد الحميرى ، وقد رأى زفاف زبيرية إلى أحد بنى عبد الله بن عباس ، فغاظه ذلك وقال :

أتتنا تُزَفُّ على بَغْلَةٍ   وفوق رحالتها قُبـــة
زبيرِّيةٌ من بنــات الذى   أحلَّ الحرام من الـكعبة
تزف إلى ملك ماجــد   فلا اجتمعا ، وبها الوجبه

أى وجبة القلب ، يدعو عليها بالموت .

والنتيجة :

أن تام المتقارب عروضه صحيحه .

أما ضربه فيكون صحيحاً ، ومقصورا ، ومحذوفا ، وأبتر .

والأول كثير ، والثانى دونه كثرة ، والثالث مستفيض شائع ، وأما الأخير فنادر .

ثانياً : مجزوء المتقارب

(ا) قال إبراهيم الصولى :

لفضل بن سهـــل يد   تقـاصر عنهــا المثل
فباطنهـــا للنــدى   وظاهرهـا للقُبَـــل

لفضل ا/ (فعولن) ن سهل (فعولن) يد (فعو) وهى العروض ، محذوفة
تقاص (فعولُ) ر عنها الـ (فعولن) مَثَلْ (فعو) وهو الضرب ، محذوف كذلك .

وهذا النوع قليل جداً لا تـكاد تجد منه إلا مقطوعات قلائل ، كقول أبى فراس :

وكم لى عـلى بلدتى بـكاء ومستعبر
فى حاب عدتى وعزى والفخر
وفى منبج من رضا أنفس ما أذخر

* * *

(ب) وفى كتب العروض :

تعفف ولا تبتئس فـما يقض يأتيكا
ولا تحرصن واقتصد فما الحرص مغنيكا

تعفف (فعولن) ولا تب (فعولن) تئس (فعو) تلك هى العروض أصابها الحذف الذى تعرف :

فما يق (فعولن) ض يأتي (فعولن) كا (فعْ) وهو الضرب ، الأصل (فعولن) حذف السبب الخفيف فصار (فعو) ثم حذف ساكن الوتد وسكن ما قبله فصار (فع) وهذا يسمى قطعاً ، اجتمع على هذا الضرب الحذف والقطع، واجتماعهما يسمى (بتراً) ، فالضرب أبتر .

وهذا أندر ما أورده العروضيون من الأضرب ، حتى إنه لم يرد فى كتبهم الأولى إلا فى بيت واحد ، فيه خطأ نحوى ، غير منسوب لقائل ، ولا داخل فى قصيدة ؛ ولا معزز بأخ . وهذا إذا أضفت إليه ضعفه من ناحية الموسيقى ، ملت إلى ما نرجحه من أنه من اختراعات العروضيين .

امثلة للتدريب

١ — قال شوقي على لسان «أنشو» مضحك الملكة ، يهزأ من «زينون» أمين الكتبة :

إذا كانت الكتب في شرعكم | نظير الجواهر كفء النضارْ
فإني الغنيُّ بدر القوا | ع حين يرصِّع تبر العقار
وما الكتب قوتي ولا منزلي | فما أنا سوس ولا أنا فار
الملكة : حكيم لعمري على جهله | ظريف الحديث لطيف الحوار
زينون : ولكنها حكمة السائمات | وفلسفة غير بنت اختبار
وكلتاهما لا تعدى الشعو | ر، بحب البقاء وخوف الدمار
أنشو : رويدك مولاي بعض السبا | ب فليس السباب سبيل الكبار
هب الليل طال فقطعته | بدرس وأصبحت تفني النهار
وأقبلت للكتب تطوي الطوال | وتنشر في إثرهن القصار
وزدت على الأرض علم السماء | كبار كراكبها والصغار
إذا ما نفقت ومات الحمار | أبينك فرق وبين الحمار ؟!

٣ — وقال يرثي ابن إمام اليمن ، وقد مات غريقاً :

عزاء جميلا إمام الحمى | وهون جليل الرزايا يَهن
وأنت المعان بإيمانه | وظنك في الله ظن حسن
ولكن متى رق قلب القضاء | ومن أين للموت عقل يزن

تجاملك العرب النازحون | وما العربية إلا وطن
ويجمع قومك بالمسلمين | عظيم الفروض وسمح السنن
وأن نبيهم واحـــد | نبي الصواب ، نبي اللسن
ومصر التي تجمع المسلمين | كما اجتمعوا في ظلال الركن
تعزى اليمانين في سيفهم | وتأخذ حصتها في الحزن
وتقعد في مأتم ابن الإمام | وتبكيه بالعبرات الهتن

٣ — قال شوقي على لسان أنوبيس الكاهن يناجي حيّاته :

صلِ لكن بنات التلال | وجن الخرائب من صا الحجر
تبدل من حولكن المكان | وأين القفار وأين الحجر
بد العلم وهي حديدية | حوتكن من جنبات الحفر
وجاءت بكن إلى حجرتي | أسارى القوارير رهن العبر
أرابني الناس في أمركن | وصرت حديثهم والسمر
وقيل أنوبيس حاو تسيل | إليه الأفاعي إذا ما صفر
وما فتنتي بجلود السكن | مرقشة كإهاب النمر
ولا بهيا كل مثل العصى | من اللحم لا من فروع الشجر
ولا برءوس كدق الحصى | ولا بعيون كوقد الشرر
ولكن أزاول علم السموم | وعلم السموم جليل الخطر
لقد كان لي في معاناته | تجارب أنفقت فيها العمر

إلى أن نجحت ، نعم قد نجحت   وعاقبة الصابرين الظفر
فكم قد شفيت بطبى اللديغ   وأيقظت من نزعه المحتضر
فقيل نبى أعاد الحياة   إلى الميت أوخدن جن سحر
صنعت من السم ترياقه   وقد يختفى النفع تحت الضرر
وأنتن والناس قد تلتقون   ففيكن شر ، وفى الناس شر

* * *

تطبيقات

١ — قطع البيتين الآتيين ، وبين العروض والضرب وما داخلهما من تغيير :

ولست بناس مقال الفتاة   غداة المحصب إذ جمروا
ألست مليا بنا يافتى ؟   إذا نام عنا الأولى تحذر

٢ — وقال أبو القاسم الشابى :

إذا الشعب يوما أراد الحياة   فلابد أن يستجيب القدر

لماذا توصف العروض بالصحة فى هذه الأبيات مع ما فيها من القبض ، ثم بين نوع الضرب .

٣ — وقال الأول :

فإما ترينى ولى لمة   فإن الحوادث أودى بها

هل يصح الاعتذار عن عدم تأنيث الفعل (أودى) مع كون الفاعل ضميراً عائدا على مؤنث . . بأن ذلك ضرورة شعرية . ولماذا ؟

٤ — مضى . زمان . لكل . آية . وآية . الزمان . هذا . المصحف

رتب هذه الكلمات بحيث يتكون منها بيت من بحر المتقارب .

* * *

٧ — المتدارك

وتركيب أبيات هذا البحر من (فاعلن) مكررة ثمانى مرات ، أربعاً فى كل شطر ؛ فيكون البيت تاماً . أو مكررة ست مرات ، فى كل شطر ثلاث ، فيكون البيت مجزوءاً .

أولا : تام المتدارك

قال شوقى معارضاً الحصرى :

ما بال العاذل يفتح لى ... باب السلوان وأوصده
ويقول تكاد تجن به ... فأقول : وأوشك أعبده

ما با (فاعلْ) ل العا (فاعل) ذل يف (فعلن) تح لى (فعلن) وهى العروض ، حذف منها الثانى الساكن ، ويسمى خبنا ، فهى مخبونة .

باب ال (فاعل) سلوا (فاعل) ن وأو (فعلن) صده (فعلن) وهو الضرب ، مخبون كالعروض[1] .

---

(١) يلاحظ أن القطع قد دخل الحشو، فى هذين البيتين، وقد أزعج ذلك العروضيين فذهبوا يلتمسون المخارج ، فانه لا يصح أن يدخل القطع (وهو علة) الحشو فالحشو لا تعتريه العلل :
وجاءت الأجوبة ، فقائل بالشذوذ ، وقائل ليس قطعاً ، إنما هو خبن أولا تصير معه فاعلن الى (فعلن) ، ثم إضمار يسكن به الثانى ، فيصير (فعلن) ، ومن قائل إنه شعث أسقطت فيه عين فاعلن فصارت (فالن) .
وقد مر بك أن الدمامينى يرى أن من الزحاف ما يلزم ، ومنه ما يفارق ، ويمكن أن يقال هذا فى العلة ، أى أن من العلل ما يجرى مجرى الزحاف ، كما هنا .

وهاك أبياتاً من مطلع قصيدة شوقى :

مضناك جفـــــاه مرقده وبـــكاه ورحّم عوّده
حـــيران القلب معذبه مقروح الجفن مسهـــده
أودى حرقا إلا رمقـــاً يبقيـــه عليك وتنفـده
يستهوى الورق تأوهــه ويذيب الصخر تنهـــده
ويناجى النجم ويتبعـه ويقيم الليل ويقعــــده
كم مد لطيفك من شرك وتأدب لا يتصيده
فعساك بغمض مسعفه ولعل خيالك مسعـــده

* * *

وقد ذكر العروضيون لهذا النوع التام عروضا وضربا صحيحين، وآخرين مقطوعين .

فأما الصحيحان فليس ثمة شاهد يثبت وجودهما فى القديم ولا فى الحديث، ومعلوم أن الأبيات التى يصنعها العروضيون لا عبرة بها ولا وزن لها .

وأما المقطوعان ، فليس فى القديم شاهد لهما ، وأما فى الحديث فنجد أبياتاً منثورة كأنها هتاف فأما القصائد فلم يوجد منها شىء .

نجد ذلك فى قول شوقى :

تحيا روما يحيا قيصر روما العظمى أبداً تنصر

وقوله :

مرحى مرحى يحيا الفـــن   يحيـا الشعر يحيـا اللحن

ولذلك أعرضنا عن هذين النوعين.

ثانياً ــ مجزوء المتدارك

والذى نراه أن مجزوء المتدارك لاوجود له فى الشعر العربى ، وقد أثبته العروضيون وصنعوا له أبياتاً تقوم على عروض صحيحة ، وضرب صحيح ، كقوله الذى قال :

قف على دورهم وابكين   بين أطلالهـــا والدِّمَنْ

أو عروض صحيحة وضرب مخبون مرفل ، تصيرُ به (فاعلن) إلى (فاعلاتن) ، كقول من قال :

دار سعدى بشحر عمانِ   قد كساها البلى الملوانِ

وتقطيعه :

دار سع(فاعلن)دى بشحْ(فاعلن)رِ عمان (فعلاتن) ، فهذه العروض — كما يظهر — مرفلة ، ولكن العروضيين يصرون على أنها صحيحة ، وأن الترفيل هنا غير لازم ، ويدعون أن ذاك مصدره التصريع ، وأن الشاعر سيهجره بعد ذلك ، ولكن أين القصيدة ومن الشاعر ؟ لاجواب !

قد كسا (فاعلن) ها البلى الـ (فاعلن) ملوانِ (فعلاتن) وهذا الضرب مرفل .

ويثبتون عروضاً صحيحة ، وضرباً مذالا ، مثل قول القائل :

هــــذه دارهم أقفرت أم زبور محتها الدهور

هذه (فاعلن) دارهم (فاعلن) أقفرت (فاعلن) عروض صحيحة .

أم زبو (فاعلن) رٌ محة (فاعلن) ها الدّهور (فاعلان) ضرب زيد فيه ساكن على ما آخره وتد مجموع ويسمى هذا تذييلا ، فالضرب مذال

ونحن لا نثبت للمتدارك إلا نوعه التام المخبون العروض والضرب ، وعمدتنا فى ذلك عدم الورود عن العرب ، ونشاز اللحن الموسيقى .

* * *

تطبيقات

على الأبحر السبعة ذوات التفعيلة الواحدة

— ١ —

قطع الأبيات الآتية ، وألحقها ببحورها ، وبين أعاريضها وأضربها وما عراها من تغيير :

(١) دخول الظافرين يكون صبحاً ولا تزجى مواكبهم مساء

(ب) أما الشباب فقد بعدْ ذهب الشباب فلم يعدْ

(ح) ما بال بشرك امحى ولونك الغض شحب

والدموع من مآ قيك تكاد تنسكب

(د) أحرز الأسطول نصرا هـــز أعطاف الديار

شرفاً أسطول مصر حزت غايات الفخار
(هـ) أتهدم أمة لتشيد فرداً على أنقاضها بئس البناء
(و) ولا نخضع للبأس ولا نخدع باللين
(ز) سلام السموات فى مجدها على ربة التاج ذات الجلال
(ح) إذا مانفقت ومات الحمار أبينك فرق وبين الحمار؟
(ط) انتصرت جنودنا الضوارى
تحت لواء البطل المغوار
(ى) ليس العبوس سنة لوجهك الطلق الندى
ولست ممن يغضب فى ليل الشراب والدد

— ٢ —

حدد آخر الشطر الأول، وبين العروض فى الأبيات الموصولة الآتية، ثم بين بحر كل منهما:

(ا) فهذه فرصة الأنس وقد لا ترجع الفرصة
(ب) وكنت إذا الموت أفضى اليك تحديته فانثنى القهقرى
(ج) بعد حين تملأ الأرض الأفاعى البشرية
(د) ربع الحمى أبى فكيف للحمى لم تغضب
(هـ) فيارب صفو سقيت الرجال فلما تروّوا سقونى الكدرْ
(و) وإن التماوت فعل الثعالب لبس التماوت فعل السباعْ

(ز) لئن فرقنا الدهر لقد تجمعنا الذكرى

— ٣ —

كون أبياتاً من بحر الرجز، ثم الوافر، ثم الكامل، على الترتيب من الكلمات الآتية:

(ا) الأمور . خطر . إنّ . انتقلت . خطر . من . إلى .

(ب) ياطبيب . عجيبٌ . الجراحِ . أرى . أثرَ . قتيلا . ولكن لاأرى .

(ج) مابال قلبك . الأمهات . رقيقة . لم يلن . قلوبهن . لفتاك

— ٤ —

يقول الصرفيون :

إن مد المقصود ضرورة شعرية فى قول القائل :

يالك من تمر ومن شيشاءِ ينشب فى المسعل واللهاء

وجه ذلك مستعيناً بالتقطيع .

— ٥ —

يقول الصرفيون :

إن مجىء مصدر (فعّل) المعتل اللام، على (تفعيل) ضرورة شعرية فى قول الشاعر :

باتت تنزى دلوها تنزيا كما تنزى شهلة صبيا

وجّه ذلك .

أكمل الآخر من الأبيات الآتية ، بحيث تجيء مستقيمة :

سيدتى عبدك أنشو قد صدق
الفار فى مكتبة القصر . . . .
يقول إن أسرق فغيرى قد . . . .
همى فى الجلد وهمه ال . . . .
يسطو على آثار كل من . . . .

— ٧ —

من لى به والبحر فى ألحاظه رشأ يغار البدر من تكوينه

(ا) قطع البيت وبين بحره .
(ب) غير كلمة (رشأ) بكلمة (ظبى) ، ثم أعد تقطيع البيت ، وبيان بحره .

— ٨ —

قطع البيتين الآتيين ، واذكر عروضهما وضربهما ، وما بهما من تغيير إن وجد :

(ا) كلمحة من خاطر ما جاء حتى ذهبا
(ب) هو الشيخ الفنيّ لو استراحت من الدأب الكواكبُ ما استراحا

— ٩ —

اشتدی أزمةُ تنفرجی قد آذن لیلك بالبلج
وظلام اللیل له سرج حتّی یغشاه أبو السرج

بین عروض الأول ، وما فی حشوه من زحاف أو علة .

* * *

الفصل الثاني

في

البحرين ذوى التفعيلتين المكررتين

١ - الطويل

أبيات هذا البحر تقوم على تفعيلتين ، تتكرران أربع مرات ، في كل شطر مرتين أولاهما يعبر عنها بوزن (فعولن) والأخرى يعبر عنها بوزن (مفاعيلن) . وهاك أنواعه .

(١) قال أبو الطيب :

وفَتّانةِ العينَينِ ، قَتّالةِ الهوى

إذا نفحت شيخا روائحها شبّا

فيا شوق ما أبقى ، ويالى من النوى ويادمع ما أجرى وياقلب ما أصبى

وفتي (فعولن) نة العينيـ (مفاعيلن) ن قتا (فعولن) لة الهوى (مفاعلن

وهى العروض ، حذف منها الخامس الساكن ويدعى قبضا ، فهى مقبوضة .

إذا نـ (فعولُ) نفحت شيخـــا (مفاعيلن) روائـ (فعولُ) حها شبّا

(مفاعيلن) وهو الضرب صحيح لا تغيير فيه .

وعلى هذا الوزن جاء قول البارودى :

هو البين حتى لا سلام ولا رد ولا نظرة يقضى بها حقه الوجدُ
لقد نعب الوابور بالبين بينهم فساروا ولا زمّوا جِمالا ولا شدّوا
سرى بهمُ سير الغمام كأنما له فى تنائى كلّ ذى خُلة قصد
فلا عين إلاّ وهى عينٌ من البكا ولا خدّ إلاّ للدموع به خدّ

(ب) وقال بشار :

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه
ومن ذا الذى تُرضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

إذا أنـ (فعولن) ت لم تشرب (مفاعيلن) مراراً (فعولن) على القذى (مفاعلن) وهو العروض، مقبوضة كسابقتها.

ظمئت (فعولُ) وأى النا (مفاعيلن) س تصفو (فعولن) مشاربه (مفاعلن) وهو الضرب. مقبوض أيضاً.

وعلى هذا النحو جاء قول شوقى على لسان أنطونيو بعد هزيمته :

أماناً إله الحرب ما أنت صانع بهذا الحطام المستباح المبعثر
لقد ذل من بعد امتناع كأنه بقية نصل أو رفات غضنفر
صدعت أكاليلى وحطمت صارمى وجردتنى من أرجوانى المظفر
ولم تألنى هدماً وكنت بنيتنى بناء الصنّاع القادر المتجبر
ملأت سبيلى بالهوى وصروفه ومن يمش فى أرض الهوى يتعثر
تنكرت حتى اخترت لى معول الهوى فليتك لم تغضب ولم تتغير

(ج) وقال آخر :

أرى الناس أعدائى إذا ازور جانبى ... ودكت جبال الحادثات جبالى
فليس أبى فى الحادثات أبى كما ... عهدت ولا خالى هنالك خالى

أرى النا (فعولن) س أعدائى (مفاعيلن) إذا ازورْ (فعولن) رجانبى (مفاعلن) وهى العروض ، مقبوضة كما عهدت . ودكت (فعولن) جبال الحا (مفاعيلن) دثات (فعول) جبالى (مفاعى) وهو الضرب ، أصله (مفاعيلن) ، حذف السبب الأخير فصار (مفاعى) وحذف السبب عندهم يسمى حذفاً ، فالضرب محذوف.

وقد جاء على هذا الأصل قول شوقى :

تمد الدجى فى لوعتى وتزيد ... ويبدىء بثى فى الهوى، ويعيد
إذا طال واستعصى فما هى ليلة ... ولـكن ليال ما لهن عديد
أرقت وعادتنى لذكرى أحبتى ... شجون قيام بالضلوع قعود
ومن يحمل الأشواق يتعب ويختلف ... عليه قديم فى الهوى وجديد
لقيتَ الذى لم يلق قلب من الهوى ... لك الله يا قلبى أأنت حديد !؟
ولم أخل من وجد عليك ورقة ... إذا حل غيد أو ترحل غيد
وروض كما شاء المحبون ظله ... لهم ولأسرار الغرام مديد
تظللنا والطير فى جنبـاته ... غصون قيام للنسيم سجود
تميل إلى مضنى الغرام وتارة ... يعارضها مضنى الصبا فتحيد

والنتيجـة :

أن عروض الطويل دائما مقبوضة[1]

أما ضربه فيدور بين الصحة ، والقبض ، والحذف .

أمثلة للتدريب

قال البارودى :

سواى بتحنان الأغاريد يطرب ... وغيرى باللذات يلهو ويلعب
وما أنا ممن تأسر الخمر لبه ... ويملك سمعيه اليراع المثقب
ولـكنْ أخوهمٍّ إذا ما ترجحت ... به سورة نحو العلا راح يدأب
نفى النوم عن عينيه نفس أبية ... لها بين أطراف الأسنة مطلب
بعيد مناط الهم فالغرب مشرق ... إذا ما رمى عينيه والشرق مغرب

٣ — وقال امرؤ القيس :

ألا زعمت بسباسة اليوم أننى ... كبرت وألا يحسن السر أمثالى
كذبتِ لقد أصبى على المرءِ عرسه ... وأمنع عرسى أن يزن بها الخالى
ويارب يوم قد لهوت وليلة ... بآنسة كأنها خط تمثال !
يضىء الفراش وجهها لضجيعها ... كمصباح زيت فى قناديل ذبال

---

(١) نعم قد تصح العروض إذا كان الضرب صحيحا ، والبيت مصرعا كقول امرىء القيس :

ألا عم صباحا أيها الط (لل البالى) ... (وهل يعمن من كان فى اله (صر الخالى)

وقد تحذف العروض إذا كان الضرب محذوفا ، والبيت مصرعا أيضا كقوله :

طحابك قلب فى الحسان (طروب) ... بعيد الشباب عصر حان (مشيب)

كأن على لبّاتها جمر مصطلٍ أصاب غضى جزلا وكف بأجزال
نظرت إليها والنجوم كأنها مصابيح رهبان تشب لقفـــال
سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال
فقالت سباك الله إنك فاضحى ألست ترى السمار والناس أحوالى
فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى
حلفت لها بالله حِلفة فاجر لنـاموا فما إن من حديث ولا صال
فلما تنازعنا الحديث وأسهلت هصرت بغصن ذى شماريخ ميال
وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا ورضت فذلت صعبةً أى إذلال

وقال يزيد بن الطثرية :

عقيلية أما ملاث إزارهـــا فدِعص وأما خصرها فبتيـــلُ
تقيظ أكناف الحمى ويظلهـا بنعمان من وادى الأراك مقيل
فياخلة النفس التى ليس دونها لنـــا من أخلاء الصفاء خليل
ويا من كتمنا حبه لم يطع به عدو ، ولم يؤمن عليه دخيـل
فديتك أعدائى كثير ، وشقتى بعيد ، وأشياعى لديك قليـل
وكنت إذا ما جئت جئت بعلة فأفنيت علاتى فكيف أقول

* * *

تطبيقــات

— ١ —

وإن لسانى شهدة يشتفى بهــا   وهُوَّ على من صبــه الله علقم

ماذا على الشاعر لو قال (وَهُوَ) ؟ . وهل يستقيم الوزن له ؟

— ٢ —

قال امرؤ القيس :

ويوم دخلتُ الخدر خدر عنيزة   فقالت : لك الويلات إنك مرجلى

فقال النحاة : إنه صرف (عنيزة) للضرورة . فما الضرورة التى أدتْ إلى ذلك الصرف ؟ وما الذى يترتب على منع الصرف من المخالفة ؟

قطع الأبيات الآتية ، وبين عروضها وضربها ، وما دخلهما من تغيير :

(ا) إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى   ولكن نفس الحر تحتمل الظّما

(ب) إذا المرءُ لم يدنس من اللؤم عرضه   فكل رداء يرتديه جميــلُ

(جـ) وللدهر حكم لا يردّ قضاؤه   فمن ذا الذى إن شاء رَدّ له حكما

— ٤ —

أجارة بيتينا أبوك غيورُ   وميسور ما يرجى لديك عسيرُ

بين العروض ، وسر مجيئها غير مقبوضة على خلاف ما عهد فى عروض الطويل .

- ٥ -

كوّن من الكلمات الآتية بيتاً من بحر الطويل ، ثم بين ضربه ، مع العلم بأن أوله (حننت) وآخره (معاً) .

مِن . حننت . ريا . إلى . وشعبا كما . نفسك . معـا . مكانك . باعدت . ريا .

البسيط

أبيات هذا البحر قائمة على تفعيلتين مكررتين، يعبر عن أولاهما بوزن (مستفعلن) وعن الأخرى بوزن (فاعلن).

ويأتي البيت التام من هاتين مكررتين أربع مرات، في كل شطر ثنتان. وقد يجيء الشطر الواحد مبنياً على التفعيلة الأولى فالثانية فالأولى؛ فيسمى حينئذ مجزوءاً.

أولا: البسيط التام

(١) قال شوقي في نهج البردة:

قالوا غزَوت ورُسل الله ما بعثوا   لقتــل نفس ولا جاءوا لسفك دمِ
جهلٌ، وتضليل أحلام، وسفسطة   فتحتَ بالسيف بعــد الفتح بالقـلم

قالوا غزو (مستفعلن) تَ وَرُسْـ (فعلن) لُ الله ما (مستفعلن) بعثوا (فعلن) وهذا الضرب مخبون كالعروض.

وقد جاء على هذا الوزن قول المهلبي يرثي المتوكل:

لا حزن إلا أراه دون ما أجد   ولا كمن فقدت عيناى مُفْتَقَدَ
لا يبعدن هالك كانت منيته   كما هوى من غطاء الزبية الأسد

لا يدفع الناس ضيما بعد ليلتهم ... إذ لا تمدّ إلى الجـانى عليه يد
لو أن سيفى وعقلى حاضران له ... أبليتـه الجهد إذ لم يبله أحـد
جاءت منيتـه والعين هاجعة ... هلا أتته المنـايا والقنا قصد[1] ؟!
هلا أتتـه أعاديه مجـاهرة ... والحرب تسعر والأبطـال تجتـلد
فخرّ فوق سرير الملك منجدلا ... لم يحمه ملكهُ لمـا انقضى الأمد
قـد كان أنصـاره يحمون حوزته ... وللردى دون أرصاد الفتى رصـد
وأصبح الناس فوضى يعجبون له ... ليثا صريعـاً تنزى حوله النقـد[2]

(ب) وقالت الخنساء :

أغرُّ أبلجُ تأتمُّ الهـداة به ... كأنه علم فى رأسـه نار
حمـال ألوية ، هباط أودية ... شهاد أندية ، للجيش جـرار

أغرّ أبـ (متفعلن) لج تأ (فعلن) تمُّ الهدا (مستفعلن) ة به (فعلن)
وهى العروض مخبونة كسابقتها .

كأنه (متفعلن) علم (فعلن) فى رأسه (مستفعلن) نارُ (فاعلْ)وهو الضرب . أصله (فاعلن) حذف ساكن الوتد المجموع (علن) وسكن ما قبله فصار (فاعلْ) وهذا التغيير يسمى قطعاً ، فالضرب مقطوع .

---

(١) متكسرة .
(٢) تنزى : تتواثب . النقد : صغار المعزى .

وقد جاء على هذا الأصل، قول جرير يرثى ابنه سوادة :

قالوا نصيبك من أجر فقلت لهم كيف العزاء وقد فارقت أشبالى
هـذا سوادة يجلو مقلتى لحِم باز يصرصر فوق المربأ العالى
فارقتنى حين كف الدهر من بصرى وحين صرت كعظم الرمة البالى
إلا تكن لك بالدَّيرين باكية فرب باكية بالرمل معوال

والتغيير :

أن تام البسيط يجب أن تكون عروضه مخبونة.
أما ضربه فيجيئك مخبونا تارة، ومقطوعا أخرى .

ثانياً : مجزوء البسيط ومخلّعه

من البحور القصيرة التى عنى بها العروضيون وأسهبوا فى شرحها وفصلوا أنواعها، ما يسمى بمجزوء البسيط، ووزن الشطر منه :

(مستفعلن ، فاعلن ، مستفعلن)

وقد قالوا إن لقصائده أنواعاً ثلاثة :

١ — نوع تنتهى أبياته بالوزن الأصلى مستفعلن ، فضربه صحيح ، ومثاله عندهم :

ماذا وقوفى على ربع عفا مخلولق دارس مستعجم

٢ — وآخر تنتهى أبياته بوزن مستفعلان ، فضربه مذال ، زيد ساكن

على آخره الوتد المجموع ، ومثاله عندهم .

يا صاح قد أخلفتْ أسماء ما كانت تمنيك من حسن الوصال

٣ – وثالث تنتهي أبياته بوزن مستفعلْ ، فضربه مقطوع ، حذف ساكن وتده المجموع وسكن ما قبله ، ومثاله عندهم :

سيروا معـــاً إنما ميعادكم يوم الثـــلاثاء ببطن الوادى

وكل هذه الأضرب أعاريضها صحيحة .

وربما زادوا عروضاً مقطوعة ، لها ضرب مقطوع ، ومثالها عندهم :

ما هيج الشوق أطلال أضحت خلاء كوحى الواحى

وكل هذه الشواهد أبيات لقيطة لا أب لها تنتسب إليه، ولا قبيلة تعزى لها ، اللهم إلا النوع الثانى فقد عثروا منـــه على قصيدة المرقش الأصغر فى المفضليات ، وهى مع ذلك ليست منسقة النغم ، ولا حلوة التقسيم .

والرأى عدم التوسع بمثل هذه التفريعات التى تضنى ولا تحقق غاية[١] .

المخلّـــــع

ضرب من مجزوء البسيط يتكون من (مستفعلن ، فاعلن ، مستفعلن) مرتين ، غير أن (مستفعلن) الثانية تتحول إلى (متفعلْ) بحذف ساكن الوتد المجموع وإسكان ما قبله ، فتكون (مستفعلْ) ثم حذف الثانى الساكن

(١) موسيقى الشعر للدكتور إبراهيم أنيس بتصرف .

فتصير (متفعلْ)[1] ، والتغيير الأول يسمى (قطعاً) والآخر يسمى (خبناً) ومجموعهما يسمى (تخليعاً) .

ومثاله قول ابن الرومى .

وجهك يا عمرو فيه طول　　وفى وجوه الكلاب طول
والكلب واف وفيك غدر　　ففيك عن قدره سفول

وجهك يا (مستعلن) عمرو فيـ (فاعلن) ـه طولُ (متفعل) وهى العروض ، أصابها التخليع الذى عرفت .

وفى وجو (متفعلن) ه الكلا (فاعلن) ب طُولُ (متفعلْ) وهو الضرب أصابه التخليع أيضاً .

وقد جاء على هذا الوزن قول أبى العلاء :

يموت قوم وراء قوم　　ويثبت الأول العزيز
كم هلكت غادة كعاب　　وعمِّرت أمها العجوز
أحرزها الوالدان خوفا　　والقبر حرز لها حريز
يجوز أن تبطىء المنايا　　والخلد فى الدهر لا يجوز

والنتيجة :

أن المعتبر من مجزوء البسيط هو ما يسمونه مخلعاً .

---

(١) وكثيرا ما يعبرون عنه بـ (فعولن) .

وعروضه مقطوعة مخبونة لزوماً .
وضربه كذلك مقطوع مخبون .

أمثلة للتدريب

١ – قال لقيط الإيادى :

يا لهف نفسىَ أن كانت أموركم ... شتى وأحكم أمر الناس فاجتمعا
مالى أراكم نياما فى بلهنية ... وقد ترون شهاب الحرب قد سطعا
فاقنوا جيادكم واحموا ذماركم ... واستشعروا الصبرلاتستشعروا الجزعا
ولا يدع بعضكم بعضا لنائبة ... كما تركتم بأعلى بيشة النخعا(١)
وقلدوا أمركم لله دركم ... رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مترفا إن رخاء العيش ساعده ... ولا إذا عض مكروه به خشعا
لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه ... هم يكاد شباه يقصم الضلعا
ما انفك يحلب هذا الدهر أشطره ... يكون متبعا طوراً ومتَّبَعا
حتى استمرت على شزر مريرته ... مستحكم الرأى لا قحماولا ضرعا(٢)

٢ – وقال كعب بن زهير :

نبئت أن رسول الله أوعدنى ... والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـ ... قرآن فيها مواعيظ وتفصيل

---

(١) رجل من إياد : كانوا قد خذلوه وأسلموه إلى العدو .
(٢) القحم : الكبير الفانى . الضرع : الضعيف .

لا تأخذنّى بأقوال الوشاة ولم ... أذنب وقد كثرت فى الأقاويل
وقد أقوم مقاما لو يقوم به ... يرى ويسمع - ماقد أسمع - الفيل[1]
لظل يرعد ، إلا أن يكون له ... من الرسول بإذن الله تنويل
إن الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول
فى فتية من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال أنكاس ولا كشُف ... عند اللقاء ولا ميل معازيل

٣ — وقال البارودى :

أبيت أرعى الدجى وعينى ... غذاؤها مدمع وسهد
لا صاحب إن شكوت حالى ... يرثى ولا سامع يرد
بين قنان علا سراها ... من سترات الغمام برد
أظل فيها أنوح فرداً ... وكل نائى الديار فرد

تطبيقات

— ١ —

قطع الأبيات الآتية وبين العروض والضرب فى كل منهما :

(١) لما تمادى بعادى ... وأضرم النار فى فؤادى
ولم أجد من هواه بدأ ... ولا معينا على السهاد
حملت نفسى على وقوف ... ببابه حملة الجواد

(١) الفيل ، فاعل يقوم التى بعد لو . . وهذا من أبلغ ما قيل فى تصوير المهابة وهل أدل على الهيبة من أن يرتعد الفيل .

(ب) يا أعدل الناس إلا في معاملتي   فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

(ج) وإنما رجل الدنيا وواحدها   من لا يعوّل في الدنيا على رجل

— ٢ —

حدد نهاية الشطر الأول في البيت الآتي :

أيام قد بسطوا ظل الحضارة في الدنيا وجاءوا لهذا الدهر بالعجب .

— ٣ —

قطع البيتين الآتيين ، وبين ما في العروض والضرب من تغيير :

حلو خلائقه ، شُوس حقائقه   يحصَى الحصى قبل أن تحصى مآثره

تضيق عن جيشه الدنيا ولو رحبت   كصدره لم تبِن فيها عساكره

— ٤ —

دعا الخليفة الناصر أبا علي القالي الأديب البغدادي إلى الأندلس. فذهب لاستقباله جماعة منهم ابن رفاعة الألبيري ، فأنشد القالي وهم في طريقهم :

ثمة قمنا إلى جُرد مُسَوَّمة   أعرافها لأيدينا مناديل

فاستعاده الألبيري ؛ فأعاد إنشاده كما بدأ . فانصرف الألبيري غاضباً آسفاً على استقباله .

فإذا عرفت أن البغدادي أخطأ في الوزن ، فأين موضع الخطأ من البيت ولم كان خطأ ؟

الزحاف والعلة

قد عرفت أن هناك أنماطاً من التغييرات تنال الأعاريض أو الأضرب غير أن منها ما يلزم ، ومنها مالا يلزم .

وقد سموا اللازم منها علة ، وغير اللازم زحافا .

والزحافات تعرض لثوانى الأسباب وتجول فى البيت كله ، فهى تدخل العروض والضرب ، وتدخل الصدر والحشو . والزحاف فى أكثر أحواله يطرأ ويزول .

وقد يجيئك فى صورة حذف حرف ، أو فى صورة تسكين حرف ، كما أنه قد يجيئك مفرداً ، أو مزدوجاً .

وتستطيع أن تستخلص ذلك أثناء قراءة البحور التى مرت بك .

وأما العلل ، فهى تغييرات تنال الأسباب والأوتاد جميعاً ، ولكنها لا تبرح العروض والضرب ، فإذا أصابت أحدها لزمته فى سائر القصيدة فى أكثر الأحيان .

والعلة تكون بالزيادة تارة ، وبالنقص تارة ، وقد تكون بالنقص مع الإسكان ، وربما جاءت العلة بالإسكان ليس غير .

وسنجمع لك سائر الزحافات والعلل ،مفصلة منوعة عندما ننتهى من شرح البحور ، واستخلاصها من البحور ليس بالأمر الشاق .

ما ورد من الزحافات والعلل في البحور السابقة

١ — في بحر الوافر :—

(ا) العصب، وهو تسكين الخامس، وتصير به مفاعلَتن ، إلى مفاعلْتن،

(ب) الحذف ، وهو حذف السبب الخفيف .

(ج) القطف، وهو مجموع العصب والحذف، وتصير به مفاعلَتن إلى مُفَاعَلْ

٢ — في بحر الهزج : —

الحذف ، ويصير به مفاعيلن إلى مفاعى .

٣ — في بحر الكامل : —

(ا) القطع ، وهو حذف ساكن الوتد المجموع وإسكان ماقبله ، وتصير به متفاعلن إلى مُتَفَاعِلْ .

(ب) الإضمار ، وهو تسكين الثاني وتصير به مَتفاعلن إلى متْفاعلن .

(ج) الحذذ ، وهو حذف الوتد المجموع ، وتصير به متفاعلن إلى متفا .

(د) التذييل ، وهو زيادة ساكن على ما آخره وتد مجموع ، وتصير به متفاعلن إلى متفاعلان .

(ﻫ) الترفيل ، وهو زيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع وتصير به متفاعلن إلى متفاعلاتن .

٤ — فى بحر الرجز :

(ا) الخبن : حذف الثانى الساكن ، وتصير به مستفعلن إلى متفعلن .

(ب) الطى : حذف الرابع الساكن ، وتصير به مستفعلن إلى مُتَعِلُنْ .

٥ — فى بحر الرّمَل : —

(ا) الحذف ، وتصير به فاعلاتن إلى فاعلا .

(ب) القصر : وهو حذف ساكن السبب الخفيف وإسكان ما قبله،وتصير به فاعلاتن إلى فاعلاتْ .

٦ — فى بحر المتقارب :—

(ا) القصر : وتصير به فعولن إلىفعولْ:

(ب) الحذف : « « « فعو .

(ج) البتر : هو عبارة عن حذف السبب فيصير به فعولن إلى فعو ، ثم القطع ، وتصير به فعو إلى (فعْ) .

٧ — فى بحر المتدارك :

(ا) القطع ، وتصير به فاعلن إلى فاعِلْ .

(ب) الخبن ، وتصير به فاعلن إلى فعِلن .

٨ — فى بحر الطويل : —

(ا) القبض ، وهو حذف الخامس الساكن وتصير به مفـــاعيلن إلى مفاعلن ، وفعولن إلى فعولُ .

(ب) الحذف ، وتصير به مفاعيلن إلى مفاعى .

٩ — فى بحر البسيط : —

(ا) الخبن ، وبه تصير فاعلن إلى فعلن .

(ب) القطع ، وبه تصير فاعلن إلى فاعل .

(ج) التذييل ، وبه تصير مستفعلن إلى مستفعلان .

(د) القطع ، وبه تصير مستفعلن إلى مستفعلْ .

* * *

العلل الجارية مجرى الزحاف(1)

وإذ قد عرفت أن الأصل فى العلة اللزوم، وأنها لا تبرح العروض والضرب فإننا ندلك هنا على أن بعض العلل قد يعرض ويزول ، وأن بعضها قد يتعدى حدوده ، فينال حشو البيت وصدره ، وبذلك يكون جاريا مجرى الزحاف .

ولنضرب لذلك مثلين :

١ - قال حافظ :

حطمت اليراع فلا تعجبى ... وعفت البيان فلا تعتبى

فما أنت ـ يامصر ـ دار الأديب ... ولا أنت بالبلد الطيب

هذان البيتان من بحر المتقارب، وتستطيع أن تدرك فى سهولة أن عروض البيت الأول (جبى) ، وهى محذوفة ، والحذف علة .

وتدرك أن عروض البيت الآخر (أديب) ، وهى ليست محذوفة بل

---

(١) كتبنا هذه الكلمة مسايرة للمنهج ، وموضعها المناسب بعد الفراغ من البحور ، ومع هذا فيمكن الوقوف على مضمونها من مراجعة بحرى المتقارب والمتدارك .

مقبوصة . . فالحذف إذن فى عروض المتقارب علة جارية مجرى الزحاف .

٢ — وقال شوقى :

ما بال العـــاذل يفتح لى باب السلوان وأوصده
ويقول تـكاد تجن بـــه فأقول وأوشك أعبـــده

يمـكن تقطيع الشطر الأول هكذا :

ما با (فاعل) ل العا (فاعلْ) ذل يف (فعلن) تح لى (فعلن) .

كذلك يمكن تقطيع الشطر الأول من البيت الآخر هكذا :

ويقو (فعلن) ل تـكا (فعلن) د تجن (فعلن) ن به (فعلن) .

فأنت تجد أن التفعيلتين الأولى والثانية فى الشطر الأول قد أصابهما القطع بحذف ساكن الوتد المجموع ، وتسكين ما قبله ؛ أما نظير تاهما من البيت الآخر فقد برئتا منه .

وبذلك يمكن الحكم بأن القطع فى المتدارك علة تجرى مجرى الزحاف من وجهين : الأول أنها تطرأ وتزول ، والثانى أنها تدخل الصدر والحشو :

النتيجـة :

أن هناك عللا تجرى مجرى الزحاف فى عدم لزومها لما تلحقه وفى عدم اقتصارها على العروض والضرب ، من ذلك القطع فى المتدارك ، والحذف فى المتقارب .

الهزج

وينبنى هذا البحر من (مفاعيلن) . أى على وتد فسببين . ست مرات ولكنه لم يجىء تاما إلا شذوذا ؛ والكثير أن يستعمل مجزوءاً ، فيكون تركيبه من تفعيلتين فى الشطر الأول ، ومثلهما فى الشطر الآخر .

(١) فقول عمر بن أبى ربيعة :

وَهيفاء كما تَهْوَى تُريك القدَّ والخـدَّا
فياللهِ ما أحـلى وما أشهى وما أنـدى

يوزن هكذا :

وهيفاء (مفاعيلُ) ، كما تهوى (مفاعيلن)، وهى العروض .

تريك القدْ (مفاعيلن) دَ، والخدَّا (مفاعيلن) وهو الضرب ، فأنت ترى أن العروض صحيحة، وأن الضرب كذلك[1] .

وعلى هذا النحو جاء قول شوقى على لسان أنطونيو مخاطباً كلوبترا ، وقد فرت بأسطولها:

وَبى من صبرك الواهى جراحُ الأمس لم تَبرا
لقد مَنيتُ أسطولى لدى أسطولك النصرا
حليفٌ كنت أرجو أن سأشتدُّ بـه أزرا

---

(١) قد يشتبه معصوب الوافر ، إذا جرى العصب فى العروض والضرب، بصحيح الهزج إذا جرت الصحة فيهما . فاذا صادفك مثل هذا فانظر فى القصيدة كلها ، فان وجدت تفعيلة واحدة بوزن (مفاعلتن) بتحريك الخامس فهى من الوافر ، والا فهى من الهزج . واذا أتاك بيت مفرد كل تفعيلاته ساكنة الخامس فهو من الهزج .

فمَنا تحت أعلامك حتى زحم البحرا
وقد كانا الجناحين وقد كنت أنا النسرا
وأجرى الفُلْكَ اكتافيو فأجريت كما أجرى
صففْناها وأرسلناها بها تقتحم الجمرا
كلانا مارس الحرب وعانى الكرَّ والفرَّا
فلما آذنتنا الحرب بالمعركة الكبرى
تسللت بأسطولك في غمرتها الحرى
فقلتُ انسحبت ضعفاً وقال الناس بل غدرا
ولو كان لهم قلب كقلبي التمسوا العذرا

* * *

(ب) وقول الآخر :

جميل الوجه أخلاني من الصبر الجميل
حماتُ الضيم فيه من حسود أو عزول

يقطع هكذا :

جميل الوج (مفاعيلن) ه أخلاني (مفاعيلن) وهى العروض .

من الصبر ال (مفاعيلن) جميل (مفاعى) وهو الضرب .

فأنت ترى أن العروض صحيحة كسابقتها ، أما الضرب فمحذوف منه (لن) وهو سبب خفيف وحذف السبب الخفيف يسمى عندهم حذفاً كما عرفت آنفاً .

فالعروض صحيحة ، والضرب محذوف .

وهذا الوزن نادر ، حتى إن بعض الباحثين[1] رجح أنه صناعة عروضية ، وهو ما نميل إليه ، لأنه مبنى على شاهد منعزل منفرد ، لا ندرى شيئا عن القصيدة التى أخذ منها ، وهذا الشاهد هو :

وما ظهرى لباغى الضيم بالظهر الذلولِ

والنتيجة :

أن الهزج يكون مجزوءاً دائما .

وأن عروضه تكون صحيحة أبدا

وضربها يدور بين الصحة والحذف .

أبيات التقطيع

قال الفِند الزِّمانى :

صفحنا عن بنى ذُهـل — وقلنا القومُ إخـوان
فلـمـا صرّح الشر — فأمسى وهو عريان
شددنا شدة الليثِ — غدا والليثُ غضبان
بضرب فيـه توجيع — وتفجيـع وإقران[2]
وطعن كفم الزِّق — غـدا والزق ملآن[3]
وبعضُ الحلم عند الجهـ — ـل للذلة إذعانُ
وفى الشر نجـاة حيـ — ـن لا ينجيك إحسان

(١) هو الأستاذ ابراهيم أنيس فى كتابه موسيقى الشعر : ص ١١٢ .
(٢) الإقران : التتابع . (٣) الزق : القربة .

تطبيقات

١ — قطع الأبيات الآتية وبين عروض كل منها وضربه .

قال بشارٌ يحاكى مذهب ابن ربيعة ، فى المراسلة بالمقطوعات الغرامية :

منَ المشهور بالحبِّ إلى قاسية القلب
سلام الله ذى العرش على وجهك يا حِبى
فأما بعدُ يا قرَّة عينى ومُنى قلبى
ويا نفسى التى تسكنُ بين الجنب والجنب
لقد أنكرت يا عبدَ جفاء منك فى الكتْب
أعَنْ ذنبٍ ؟ فلا والله ماأحدثتُ من ذنب ؟ !

٢ — أمن الهزج أم من مجزوء الوافر البيتان الآتيان ، ولماذا ؟

قال على محمود طه :

هناك على رُبَا الوادى لنا مهد من العُشب
يلفُّ الصمت روحَينا ويشدو بلبل الحب

٣ — قال بشار يتغزل :

أيا طيبُ لقد طبت وما طيَّبك الطيب
ولكن نَفَسٌ منك إذا ضمك تقريب
وثغر بارد عذب جرى فيه الأعاجيب
ووجه يشبه البدر عليه التاج معصوب

ووحف زان متنيك ، وزانته التقاصيب[1]
ونحر بين حقين يشف العين مشبوب
وحب لك قد شاع وبيت لك منسوب
فلو ساعفتنا وجهك والدرياق والطيب[2]
أعشناك وعشنا بك إن العيش محبوب

(ا) بين عروض الأبيات : الاول والثانى والثالث ، وحكمها من حيث الصحة وعدمها

(ب) بين أضرب الأبيات : الرابع والخامس والسادس ، وحكمها من حيث الصحة أو غيرها .

(ج) قطع البيت السابع .

(د) افصل الشطر الأول عن الآخر ، فى كل من البيتين الأخيرين ، معتمداً فى ذلك على التقطيع .

---

(١) الوحف : الشعر الكثيف الأسود .
(٢) الدرياق : الخمر.

الفصل الثالث

فى

البحور ذوات التفعيلات المختلفة[1]

١ ـ الخفيف

وتبنى أبيات هذا البحر على تفعيلتين (فاعلاتن، مستفع[2] لن)

ويجىء الشطر الواحد على وزان (فاعلاتن ، مستفع لن ، فاعلاتن) .

فإذا تكرر هذا الشطر مرتين ، حصلت من ذلك على بيت من الخفيف التام.

---

(١) قسمنا النوع الذى تختلف فيه التفعيلات أقساما ثلاثة .

ا ـ أن تكون غير المكررة وسطا، تكتنفها التفعيلة المتكررة وذلك أربعة أبحر هى: الخفيف . المديد . المنسرح . المضارع .

(ب) أن تكون غير المتكررة آخراً فى كل شطر وذلك بحر السريع .

(ج) أن تكون غير المكررة أولا فى كل شطر وذلك بحران هما المقتضب والمجتث .

(٢) العروضيون يجعلون (مستفعلن) فى بحر الخفيف؛ مركبة من سبب خفيف (مس)، ووتد مفروق (تفع) وسبب خفيف آخر هو (لن) ، ويكتبونها هكذا (مستفع لن) ويرتبون على هذا أنه إذا حذف الساكن فى السبب الخفيف وسكن ما قبله فذلك (قصر) لا (قطع) لأن القطع فى الوتد المجموع ، والقصر فى السبب الخفيف .

والذى دعاهم إلى هذا الاعتبار وتحامى عن الاعتبار المتبادر وهو أن (مستفعلن) مركب من سببين خفيفين فوتد مجموع ، هو حكم الدائرة ، والدوائر ليست إلا أموراً فرضية لا تبنى عليها حقائق علمية. وأيضا فنحن لا يمكن أن نقرر أن هناك وحدة صوتية تسمى وتدا مفروقا. لأن الوحدة الصوتية لا بد أن تنتهى بساكن ، والوتد المفروق الذى زعموا لا ينتهى بساكن

ومع هذا فلابد لنا ونحن فى المرحلة البدائية من دراسة علم العروض ، لابد لنا من متابعتهم وأن ندع النقد لحاله من المرحلة الخاصة ، وإن كان لابد لنا كذلك من مثل هذا التنويه .

وإذا نقصت من كل شطر التفعيلة الأخيرة ، حصلت على بيت من الخفيف المجزوء .

أولا : الخفيف التـام

١ - (ا) قال عمر بن أبي ربيعة :

قال لى صاحبي ليعلم مابى أتحب القتول أخت الرباب
قلتُ وجدى بها كوجدِك بالعذ ب إذ ما منعت طعم الشراب

قال لى صا (فاعلاتن) حبى ليعْ (متفعلن) لم بى (فعلاتن) ، وهى العروض ، أصابها الخبن بحذف الثانى الساكن ، ولكنه غير لازم ، ولهذا تسمى صحيحة .

أتحب ال(فعلاتن) قتول أخْ (متْفعِ لن) ت الرّبابِ (فاعلاتن) الضرب صحيح كما ترى .

وعلى هذا الأصل جاء قول أبي ماضى :

أنا إن أغمض الحِمام جفونى ودوَى صوتُ مَصرعى فى المدينة
وتمشى فى الأرض داراً فداراً فسمعت دويه ورنينه
لا تعيحى واحمرتاه لئلا يدرك السامعون ما تضمرينه
وإذا زرتنى وأبصرت وجهى قد محا الموت شكه ويقينه
وتعالى العويل حولك ممن مارسوه ، وأصبحوا يحسنونه
لا تشقى على ثوبك حزنا لا ، ولا تذرفى الدموع السخينة

غالبِي اليأس واجلسي عند نعشي بسكونٍ إني أحب السكينة
إن للصمت في المآتم معنى تتعزى به النفوس الحزينة
وَلقولُ العذال عنكِ بخيلٌ هو خيرٌ من قولهم « مسكينا»
وإذا خفْت أن يثور بك الوجـــد فتبدو أسرارنا المكنونة
فارجعي واسكبي دموعك سراً وامسحي باليدين ما تسكبينه

* * *

وينسب لجميل بثينة :

قد أصون الحديث دون خليل لا أخاف الأذاةَ من قِبلِه
وخليلٍ صـــانت. مرتقباً وخليلٍ فارقتُ من مَلَلِهْ

قد أصون الـ (فاعلاتن) حديث دو (متفع لن) ن خليل(فعلاتن) وهى العروض ، مخبونة ، ولكن خبنها غير لازم فهى ، إذن صحيحة .

لا أخاف الـ (فاعلاتن) أذاةَ من (متفع لن) قِبَلِهْ (فَعِلا) وهو الضرب حذف منه السبب الخفيف فهو محذوف .

وهذا النوع من الأوزان لم يعرف له الباحثون إلا بيتا واحدا ذكره العروضيون معزواً إلى الكميت هو :

ليت شعرى هل ثَمَّ هل آتينهم أم يحولَنْ من دون ذاك الرَّدى

وهذا البيت غير مذكور فى هاشميات الكميت ، على أن العروضيين أنفسَهم يروون البيت راوية أخرى :

ليت شعري هل ثَمَّ هل آتينهمُ   أم يحولَن من دون ذاك الِحمامُ

* * *

٢ — يا غليلا كالنار في كبدي   واغتراب الفؤاد عن جسدي
ليت من شفَّني هواهُ رأى   زفرات الهوى على كبدي

يا غليلا (فاعلاتن) كالنـار في (مستفع لن) كبـدي (فعِـلان) وهي العروض محذوفة ، كما ترى .

واغتراب الـ (فاعلاتن) فؤاد عن (متفع لن) جسدي (فعِلا) وهو الضرب ، محذوف أيضاً .

وقد ذكر العروضيون له شاهداً مسلوخاً بنيا ، هو قولهم :

إن قدرنا يوماً على عامر   ننتصفْ منه أو ندَعْه لكُم

وهو بيت مختل المعنى ، وليس في دواوين القدماء ومجموعات شعرهم شيء منه كما يقول الباحثون .

بيد أن للأستاذ العقاد أبياتاً عشرة ، يمكن أن تنسب إلى هذا الوزن ، وإن كان كل شطر منها بوزن[1] (فعِلان) ، أي أنه التزم الخبن في العروض والضرب

قال الأستاذ العقاد تحت عنوان : وردة محزنة :

وردتي ، فيمَ أنت ضـاحكةٌ   يلمح البشْرَ منك مَنْ لمحا

---

(١) من كتاب موسيقى الشعر للدكتور إبراهيم أنيس ، بتصرف يسير .

فيمَ هذا الجمال يحزُنني ... رونقٌ فيه كان لى فرحا
كنتأهوى الوردَ أصلَحهَا ... مالذكرى الحبيب قد صلحا
هو فى نيق هـــدبته ... وهو فوق الغصون ما برحا
وإخالُ القبولَ يرْمقُهُ ... واضحاً فيه كلما وضحا
ثم ولى الهوى وأعقبنى ... نظراً ينـكر النهارَ ضُحا
فإذا الورد غصة وشجى ... يتراءى بالهجر لى شبحا
وإذا الزهر كاليتيم إذا ... راق فى العين حسنهُ جرحا
كان للحب زينة فغـدا ... أثراً فوق لحده طُرحا
الذبول الذبول أرفَق بى ... من رواء يزيدنى تَرحا

هل عَمَدَ العقاد إلى النظم على هذا الوزن عمدا مجاراة لأهل العروض أو تأسياً بقطعة قديمة ظفر بها ، أو أنه ساقته إليه الشاعرية ، لما فيه من الحزن المناسب لموضوعه ، وذلك هو ما نرجحه ، وآية ذلك أنك تجد « فى اللاح التائه » قطعة بعنوان (الشتاء) عدتّها سبعة عشر بيتا أولها :

ذكرينى فقد نسيت وبا ... رُبَّ ذكرى تعيد لى طربى
وارفعى وجهك الجميلَ أرى ... كيف هذا الحياء لم يَذُب

والنتيجة :

أن الخفيف التام :

١ — تكون عروضه صحيحة ، وضربها إما صحيح وهو الأعم الأشيع أو محذوف وهو من النُدور بمكان .

٢ — وتكون عروضه محذوفة وضربها محذوف لاغير ، وهذا الوزن قليل جداً .

ثانياً : الخفيف المجزوء

(١) قال البهاء زهير :

إن شكا القلب هجركمْ   مَهَّدَ الحبُّ عذركم
شرفوني بزورةٍ   شَرف الله قدركم

إن شكا القلْ (فاعلاتن) ب هجركم (متفع لن) ، وهو الضرب ، لحقه الخبن ، وهو غير لازم ، فهي صحيحة .

مهَّد الحبْ (فاعلاتن) بُ عذركم (متفع لن) ، وهي العروض ، لحقها الخبن وهو كذلك غير لازم ، فهو صحيح .

وقد جاء على هذا الوزن قول شوقي على لسان كلوبترا ، بعد انتحار مارك أنطونيو

نام «ماركو» ولم أنم   وتفردتَ بالألَمْ
ليت جرحى كجرحه   لَقِيَ الموتَ فالتأم
قاتَل الله ماضيا[1]   قتل المفرد العلَم
أنطوان انفض الكرى   ساعةً وانقل القدم
قم كأمس اغنم الهوى   واشرب الراح بالنغَم
وتخيَّرْ على المنى   وتمتعْ من النِّعَم

(١) ماضياً : سيفاً .

واغمر الأرض بالقنـــا وتغلب على الأمم
وقد الخيـل فى الوها د ووثبا إلى القمم
أيها العين أبصرى إنما كنتِ فى حلم

(ب) وربما عثرت بالخفيف المجزوء فى صورة :

فاعـــــلاتن مستفع لن فاعـــــلاتن متفع لْ

أى إن عروضه صحيحة ، وضربه محذوف ساكن السبب ، ومسكَّنٌ ماقبله ، وهذا هو المسمى قصراً . وقد مثل له العروضيون بالبيت :

كلُّ شىءٍ إن لم تـكو نوا غضبتم يســـير

وتقطيعه:

كل شى (فاعلاتن) إن لم تـكو(مستفع لن) وهى العروض ، صحيحة .

نوا غضبتم (فاعلاتن) يسير(متفع لْ) وهو الضرب ، دخله القصر الذى عرفت آنفاً ، ومن الندرة بمكان أن تجد شاعراً سار فى هذا الدرب الموحش ، اللهم إلا رقاق الصوفية كالشيخ ابن الطاهر المجذوب . قال :

ما القوافى المبـــانى ما اختيـار المعـــــانى
بعد سبع المثـــانى ما عسى أن يقالا

ويلاحظ أن العروض والضرب ، كلاهما مقصوران .

والنتيجة :

أن الخفيف المجزوء عروضه صحيحة
وضربه صحيح غالباً ، ومقصور نادرا .

امثلة للتدريب

١ – قال محمد بن مناذر يرثي عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي ، وكان به صباً ، واعتبط عبد المجيد لعشرين من سنه من غير علة ، وكان من أجمل الفتيان وآدبهم وأظرفهم :

كل حي لاقي الحمام فمودي ... ما لحي مؤمّل من خلود
لا تهاب المنون شيئاً ولا تبـ ... ـقي على والد ولا مولود
ولقد تترك الحوادث والأيـ ... ـام وَهْياً في الصخرة الصيخود
فلو أن الأيام أخلدن حياً ... لعلاء أخلدن عبد المجيد
ما درى نعشه ولا الحاملوه ... ما على النعش من عفاف وجود
ويح أيد حثت عليه وأيد ... دفنته ، ما غيبت في الصعيد
إن عبد المجيد يوم تولى ... هدَّ ركناً ما كان بالمهدود
وأرانا كالزرع يحصده الدهـ ... ـر فمن بين قائم وحصيد
وكأنا للموت ركب مخبو ... ن سراعا لمنهل مورود
هد عبد المجيد ركني وقد كنـ ... ـت بركن أنوء منه شديد

٢ – وقال ابن الرومي يصف العود :

وقيان كأنها أمهات ... عاطفات على بنيها حواني
مطفلات وما حملن جنينا ... مرضعات ولسن ذات لبان
ملقمات أطفالهن ثديا ... ناهدات كأحسن الرمان
مفعمات كأنها حافلات ... وهي صفر من درة الألبان

كل طفل يدعى بأسماء شتى بين عود ومزهر وكران
أمه دهرها تترجم عنـه وهو بادى الغنى عن الترجمان

٣ — وقال محمود غنيم عن (العيد والأزمة) :

هاهو العيد قـد أطل ما توارى من الخجـل
حل ضيفاً ولا قِـرى لا على الرحب إذ نزل
ما لدينـا ضحيـة أو جديد من الحُلل
يا لعيـد مُسالم لم يخف بطشـه حمل
يسرح الطير آمنـا فيـه والناسُ فى وجـل

تطبيقات

— ١ —

كيف أمسيتَ فى التراب ضجيعاً كيف أصبحت يا فتى الفتيـان ؟
أألفت الثواء فى خَشن القبـ ـر وحيدا بعد الحشايا اللدان ؟

— ٢ —

إنمـا مُصعبٌ شهـاب من اللـه تجلّت عن وجهه الظلمـاء
ملـكه ملك عزة ليس فيـه جبروتٌ منه ولا كبرياء

قطع البيت الثانى ، وافصل شطرى البيت الأول أحدهما عن الآخر .

— ٣ —

درب نفسك بتقطيع الأبيات الآتية ، ملاحظا ما يطرأ على تفعيلاتها .
قال العباسى الشاعر السودانى :

رَب إن العباد ضلوا طريق ... الحقّ واستمرأوا الغواية جدا
وهم اثنان : عاجزٌ مستكين ... وقوىٌّ على الحقوق تعدّى
قد أطاعوا الهوى فكلٌ قريب ... مضمرٌ للقريب غدْراً وحقدا
فبمن يحتمى الغداةَ ضعافٌ ... عاث فيهم زمانهم واستبدا
لا تكلنا إلى سواك وكن ربٌّ ... معينا وأبدل النحس سعدا
أو فعجّل ، ومر بطائف بطش ... للبرايا وضع لذى الحال حَدا

— ٤ —

وجاء فى رواية مجنون ليلى :

ليلى : قيس

قيس : ليلى بجانبى كل شىء إذنْ حضرْ
ليلى : جمعتنا فأحسنت ساعة تفضل العمرُ
قيس : أتجدين
ليلى : ما فؤا دى حديد ولا حجر
لك قلبٌ فسْله يا قيس ينبيك بالخبر
قد تحملت فى الهوى فوق ما يحمل البشر
قيس : لست ليلاىَ داريا كيف أشكو وأنفجر
أشرح الشوق كلّهُ أم من الشرح أختصر ؟

٢ — المديد

وبناء أبياته على (فاعلاتن) مرتين ، تتوسطهما (فاعلن) ،فيكون الشطر (فاعلاتن ، فاعلن ، فاعلاتن)

فإذا تكرر هذا الشطر مرتين حصلت على بيت من بحر المديد[1] .

١ — قال تأبط شراً :

بزّنى الدهرُ وكانَ غشوما   بأبىٌّ جاره ما يَذلّ
طاعن بالحزم حتى إذا ما   حَلَّ حَل الحزم حيث يحل

بزّنى الده (فاعلاتن) رُ وكا (فعلن) ن غشوما (فَعلاتن) وهى العروض ، صحيحة وإن عراها الخبن ، إذ هو غير لازم .

بأبىٌّ (فعلاتن) جارُه (فاعلن) ما يذلّ (فاعلاتن) وهو الضرب صحيح أيضاً .

وعلى هذا جاء قول المهلهل :

يالبكرٍ انشروا لى كليباً   يالبكر أين أين الفرارُ ؟
يالبـكرٍ ارحلوا أو أقيموا   وضحَ الأمر وبان السِّرار

---

(١) كون المديد على ثلاث تفعيلات فى كل شطر ، هو الوارد عن العرب ، ولكن حكم الدائرة التى بنوا عليها كثيراً من أحكام العروض اقتضى أن يكون المديد مكونا من (فاعلاتن فاعلن ، فاعلاتن ، فاعلن) . للشطر الواحد . ورتبوا على هذا أن المديد لم يرد إلا مجزوءا وهذا كلام يرده النظر والتحقيق ، ويرفضه كثير ممن لهم قدم فى هذا العلم

وأمثالها قليل ، كقول أبي العتاهية :

إن دارا نحن فيها لدار ليس فيها لمقيم قرارُ
كم وكم حلها من أناس ذهب الليل بهم والنهار
فهم الركب أصابوا مناخاً فاستراحوا ساعة ثم ساروا
وهم الأحباب كانوا ولكن قَدُمَ العهد وشط المزار

* * *

٢ -(ا) وقال أحد الشعراء :

يا وميض البرق بين السحب لا عليها بل عليك السلام
إن في الأحداج مقصورة وجهها يهتك ستر الظلام

ياوميض الـ (فاعلاتن) برق بيـ (فاعلن) ن السحب (فاعلا) وهي العروض ، حذف منها السبب الخفيف ، فهي محذوفة .

لا عليها (فاعلاتن) بل علي (فاعلن) ـك السلام (فاعلاتْ) وهو الضرب ، حذف منه ساكن السبب الخفيف ، وسكن ما قبله ، فهو مقصور .

ولا تكاد تعثر لهذا الوزن على أمثلة من صحيح الشعر العربي .

* * *

(ب) مستهام دمعه سائح بين جنبيه هوًى قادحُ
حل فيما بين أعدائه وهو عن أحبابه نازح

مستهام (فاعلاتن) دمعه (فاعلن) سائح (فاعلا) وتلك العروض ، حذف منها السبب ، فهي محذوفة .

بين جنبيه (فاعلاتن)ـه هوى (فعلن) قادى (فاعلا) وذاك الضرب محدوف كالعروض .

ولا تكاد تعثر بمثل هذا الوزن .

* * *

(ح) أيها الحادى بنا صاديا يبتغى بعد الصدى ريا
منعما عرّج على طيّئٍ بفتى يهوى لها طيّا

أيها الحا (فاعلاتن) دى بنا (فاعلن) صاديا (فاعلا) عروض أصابها الحذف يبتغى به (فاعلاتن) د الصدى (فاعلن) ريا (فاعلْ) ضرب، أصله (فاعلاتن) عرض له الحذف فصار (فاعلا) ثم حذف ساكن الوتد وسكن ماقبله، ويسمى هذا قطعاً ، فصار (فاعلْ) واجتماع الحذف والقطع يسمى بترا ، فالضرب أبتر .
وهذا النوع نادر جدا .

* * *

٣ — (١) إنما الدّنيا أبودُلف بين باديه ومحتضره
فإذا ولّى أبو دُلف ولت الدنيا على أثره

إنما لدنـ(فاعلاتن) ـيا أبو (فاعلن) دُلف (فعلا) ، عروضُ أصابها الحذف بحذف السبب ، والخبن بحذف الثانى الساكن ، فهى محذوفة مخبونة.
بين بادىـ(فاعلاتن) ـه ومحـ (فاعلن) تضره (فعلا) ، ضرب أصابه ما أصاب العروض من حذف وخبن .

وقد نظم من هذا الوزن جملة مقطوعات ، منها قول حافظ إبراهيم :

ما لهذا النجم فى السحر قد سها من شدة السهر
خلته يا قوم يؤنسنى إن جفانى مؤنس السَّحر
يا لقومى إسنى رجل أفنت الأيام مصطبرى
أسهرتنى الحادثات وقد نام حتى هاتف الشَّجَرِ

* * *

(ب) قال الأبيوردى :

وظباء من بنى أسد بهواهـا القلب مأهـول
زرْنَ والظلماء عاكفة وقناع الليـل مسدول

وظباء (فعلاتن) من بنى (فعلاتن) أسد (فعلا) ، وهى العروض أصابها حذف وخبن . بهواها ال (فعلاتن) قلب مأ (فاعلن) هول (فاعلْ) ، وهو الضرب أصله (فاعلاتن) حذف منه السبب الخفيف ، ثم اعترى ما بقى منه القطع ، فهو محذوف مقطوع ، أى إنه أبتر .

ومثل هذا قليل جداً .

التنبيه :

إن عروض المديد :

١ — تكون صحيحة، وضربها صحيح.
٢ — تكون محذوفة ، وضربها محذوف ، أو مقصور ، أو أبتر .
٣ — تكون مخبونة ، ضربها محذوف مخبون ، أو أبتر .

أمثلة للتدريب

١ — قال على الجارم:

طائر يشدو على فننِ　　جدَّد الذكرى لذى شجنِ
قام والأكوان صامتة　　ونسيم الصبح فى وهَن
هاج فى نفسى، وقد هدأت　　لوعةً، لولاه لم تكن

٢ — وقال آخر:

طال تكذيبى وتصديقى　　لم أجد عهداً لمخلوق
إن ناساً فى الهوى غدروا　　أحدثوا نقض المواثيق
لا ترانى بعدهم أبداً　　أشتكى عشقاً لمعشوق

٣ — وقال تأبط شراً:

إن بالشعب الذى دون سَلع　　لقتيلا دمه ما يطل
خلَّف العبء علىَّ وولّى　　أنا بالعبء له مستقل
خبرٌ ما نابنا مصمئِلّ　　جلّ حتى دق فيه الأجل (١)

وقال امرؤ القيس:

رب رامٍ من بنى ثعلٍ　　مخرجٍ كفيه من سترهَ

---

(١) يطل هدرا: يذهب. مستقل: حامل: مصمئل: شديد.

قـد أتتـه الوحش واردة فتنحى النزع فى يسره[1]
فرماها فى فرائصها بإزاء الحوض أو عقره[2]
مطعم للصيد ليس له غيرها كسب على كبره

٥ - وقال أبو نواس :

لا أذود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره
قد لبست الدهر لبس فتى أخذ الآداب من غيره
خاب من أسرى إلى بلد غـــير معلوم مدى سفره
فامض لا تمنن علىّ يدا منك المعروف من كدره

تطبيقات

١ – قطع الأبيات الآتية ، وبين أعاريضها وأضربها .

(ا) رشأ لولا ملاحته خلت الدنيا من الفتن
(ب) لك أن تبدى لنا حسناً ولنا أن نعمل الحدقا
(ح) قال لى ودع سليمى ودعها فأجاب القلب لا أستطيعُ

(١) تنحى . قصد . اليسر : قبالة الوجه .
(٢) الأزاء : مصب الدلو من الحوض . العقر : موضع الشارب منه .

٢ — بين الأضرب وما حدث لها من تغيير فيما يلى :

(ا) كاتب جُنتْ صحيفته　　　وبكى من رحمة قلمهُ

(ب) زادنى لومك إصراراً　　　إن لى فى الحب أنصاراً

(حـ) عاتب ظلت له عاتباً　　　رب مطلوب غداً طالباً

٣ - بين الأعاريض وما حدث لها من تغيير فيما يلى :

(ا) يا كثير الهجر لا تنس وصْلى　　　واشتغالى بك عن كل شغلِ

(ب) ما تأسيك لدار خلت　　　ولشعب شَتّ بعد التئامِ ؟

(حـ) فالهوى لى قدر غالبٌ　　　كيف أعصى القدرَ الغالبا ؟

٤ — رتب الكلمات الآتية بحيث تكون بيتاً من بحر المديد ، ثم بين عروضه وضربه ، وما بهما من تغيير :

أولا . المتنابُ ، عفْره . . سمَرُه . ليلى . لستَ مِنْ . عَن أيها .

٥ — أكمل الأبيات بحيث تتم على وزن المديد ، ثم بين أضربها وما دخلها من تغيير :

(ا) قال لى فيها عتيق مقالا　　　فجرتْ مما يقول ....

(ب) من يَتُبْ عن حب معشوقه　　　لست عن حبى له ....

(حـ) أنضجت نار الهوى ...　　　ودموعى تطفىء ....

* * *

٣- المنسرح

وبناء هذا البحر عند العروضيين على (مستفعلن ، مفعولات ، مستفعلن) مرتين فإذا جاء هكذا فهو تام ، وإن جاء على (مستفعلن ، مفعولاتُ) فحسب فذلك المنهوك :

أولا : المنسرح التام

(١) قال أبو نواس :

في انقباض وحشمــــة فإذا   صادفت أهل الوفاءِ والكرمِ
أرسلتُ نفسي على سجيتها   وقلت ما قلتُ غير محتشم

فِيْ انقبا (مستفعلن) ض وحشم (مفعلاتُ) ـة فاذا (مستعلن) عروض ، حذف رابعها الساكن ، فهي إذن مطوية ، ولكن الطي لا يلزمها فلذا تُعَدُّ صحيحة .

صادفت أهـ (مستفعلن) ـل الوفاء (مفعلات) والكرم (مسْتَعِلن) ضربٌ ، حذفَ رابعه الساكن حذفاً لازماً ، فهو مطوى[1]

ومنه قول عمر بن أبي ربيعة :

يامن لقلب متيم كلِفِ   يهذى بخَود مريضة النظرِ

(١) هذا التقطيع على حسب اعتبارهم ، أما بحسب النغم ، وله الاعتبار الاول . فيمكن أن يكون هكذا .

في انقباض ، ووحشة ، فاذا . وعليه يكون من السريع ، وقد سبقنا الى ذلك عز الدين التنوخي ، ولا شيء فيه أولا انه ملزم عليه الترفيل في مستفعلن ، والترفيل علة لا تدخل الحشو عند القوم ، وأيضا فإنه لا يلحق عندهم إلا فاعلن ومتفاعلن .

تمشى الهوينى إذا مشت فضلا   وهى كمثل العسلوج فى الشجر
ما إن طمعنا بها ولا طمعت   حتى التقينا يوماً على قدر
قالت لترب لها تحدثها   لتفسدن الطواف فى عمر
قومى تصدى له ليعرفنا   ثم اغمزيه يا أخت فى خفر
قالت لها قد غمزته فأبى   ثم اسبطرت تسعى على أثرى
من يسق بعد المنام ريقتها   يسق بمسك وبارد خصر[1]

* * *

(ب) وقال ابن الرومى :

لو كنت يوم الوداع شاهدنا   وهن يطفئن لوعة الوجد
لم تر إلا دموع باكية   تقطر من نرجس على ورد

لو كنت يو (مستفعلن) م الوداع (مفعلات) شاهدنا (مستعلن)، عروض مطوية لا يلزمها الطى ؛ فهى صحيحة .

وهن يطف (متفعلن) ـئن من لوعـ (مفعولات) ـة الوجد (مستفعل) ضرب حذف منه ساكن الوتد المجموع، وسكن ما قبله، فهو مقطوع :

ومنه قول البحترى :

وكم حنين إليك مجلوب   ودمع عين عليك مسكوب
وأنت فى شحط نية قذف   يهون فيها عليك تعذيبى[2]
شتان جفل الدموع بينهما   شوق محب ونأى محبوب

---

(١) الخود : الناعمة . خفر : حياء : اسبطرت : أسرعت . خصر : شديد البرودة
(٢) الشحط : المزار . نية قذف : بعيدة .

وما يزال الفراق يبحث عن ثأر لدى العاشقين مطلوب

والنتيجة:

أن المنسرح التام ، تأتى عروضه صحيحة .

وضربها إما مطوى ، وإما مقطوع .

ثانياً : المنسرح المنهوك

(ا) قالت هند بنت عتبة :

صبراً بنى عبد الدار

صبراً حماة الأدبار

ضرباً بكل بتّار

صبراً بنى (مستفعلن) عبد الدارْ (مفعولاتْ) عروض وضرب ، سكن فيها السابع المتحرك ، ويسمى ذلك (وقفاً) فالعروض والضرب موقوفان .

* * *

(ب) وقالت أم سعد بن معاذ ، وقد رأت ابنها جريحاً يوم الخندق :

وَيلُمِّ سعد سعدا

صرامة وجداً

وسؤددا ومجدا

ويلُمّ سعـ (مستفعلن) ـد سعدا (مفعولا) ، عروض وضرب حذف

منها السابع المتحرك ، وذلك يسمي (كسفاً) ، فهما مكسوفان :

وهذا الضرب قليل كذلك .

* * *

والنتيجة:

أن المنسرح المنهوك ، عروضه وضربه يكونان موقوفين ، أو مكسوفين .

أمثلة للتدريب

١ — قال محمود غنيم وقد فقدت ساعته :

وساعة كالسوار حول يدى ضاعت فأوهى ضياعُها جلدى

ما زال يطوى الزمان عقربُها حتى طواها الزمانُ للأبد

ضيَّعها نجلىَ الصغيرُ وكم حملنى من خسارةٍ ولدى

قالوا فداءٌ له ، فقلت لهم كلاهما فلذتان من كبدى

مَنْ مسعدى إن أكن على سفر ومن يفى لى بالوعد إن أعِد

التبست أيامى علىَّ فلا أفرق بين السبوت والأحد

واختل وقتى فإن وعدتك أن أزورك اليوم جئت بعد غدِ

٢ — وقال أبو سعيد الرستمى :

لهفى على ذلك الجوادِ وهل يَفُكُّ رهنَ المنون نادبُه

لو كان غير الممات حاولَه لفَلَّلَتْ دونه مخالبه

أو كان غير المنون يخطبه زمَّلَ أنف أبداه خاطبه

أو حارب الدهرَ مشفق حدِب لقمتُ فى وجهــه أحاربه

٣ — وقالت امرأة ترثى زوجها :

أبــكيك لا للنعيم والأُنُسِ بل للمعالى والرمح والفرس
أبكى على فارس فجعت به أرمَلَنى قبل ليــلة العرس
يا فارساً بالعــراء مُطَّرَحاً خانته قواده مــع الحرس
من لليتامى إذا همـــو سغبوا وكل عان ، وكل محتبس
أم مَنْ لِبِرٍّ أمْ من لفائدة أم من لذكر الإله فى الغَلَس

تطبيقات

١ — قطع ما يأتى ، وبين العروض والضرب وما لحقهما :

(ا) عليه تاجان فوق مفرِقه تاجُ جلالٍ وتاجُ إخبات
يقول للريح كلما عصفت هل لك ياريح فى مباراتى

(ب) لا تهملوا أخـــذ الثارْ
لا تهمـــلوا الاستعمار
لا تفشلوا يا أحـــرار
هيا جميعــــا هيا
نطوى الصحارى طيا

٢ — درب نفسك بتقطيع ما يأتى:

وإنما الناس بالملوك وما تصلح عُرْبٌ ملوكها عجم
لا أدب عندهم ولا حَسَبٌ ولا عهود لهم ولا ذمم
بكلِّ أرض وطئتها أمم تُرعى بعبد كأنها غنم

٣ – هل يمكن أن تعد الأبيات الآتية من منهوك المنسرح، ثم ماذا يكون بأعاريضها وأضربها من التغيير ؟ :

هلا هلا هيا
اطوى الفلا طيا
وقربى الحيا
منازح الصب
جلاجل فى البيد
شجية التغريد
كنغمة الغريد
فى الفنن ارطب
فى شُغَف القلب

٤ – يعدون من المنسرحيات الشاذة قول الأعشى :

إنَّ محلا وإنَّ مرتحلا وإن فى السفر إذ مَضوا مهلا

حتى إن ابن قتيبة يراها منحولة ، فما سر شذوذها ؟

٤ — المضارع

قال العلماء : إن بناء هذا البحر على (مفاعيلن . فاع لاتن . مفاعيلن) مرتين .

وقالوا : إنه لم يرد تاماً قطّ ، وإنما هو مجزوءٌ أبداً ، فما ورد منه ورد على (مفاعيلن ، فاع لاتن[1]) مرتين ، وهاك شاهدة :

لقد قلت حين قـــر　　بت العيــس يا نـوارُ
قفـوا فاربعوا قليلا　　فلم يربعـوا وسـاروا

لقد قلتُ (مفاعيلُ) حين قر (فاع لات) وهى العروض ، حذف منها السابع الساكن ويسمى كفا ، ولكن لا يلزم فى العروض ، وتستطيع أن تطمئنَّ إلى ذلك إذا قطعت البيت الثانى ، والبيتين بعده وهما :

فنفسي لهـا حنين　　وقلـبي له انكسار
وصدرى له غليـل　　ودمعى له انحدار

فالعروض إذن صحيحة .

(١) لعلك تلاحظ أن التفعيلة الثانية لم توصل فيها العين باللام ، وإنما ذلك ليدلوك على أنها مركبة من وتد مفروق وسببين خفيفين لامن وتد مجموع بين سببين خفيفين .

فان سألت ، ولم اعتبروه مجزوءا ولم يعتبروه تاماً ، مادام هذا الذى زعموه لم ، والجزء فرع التمام . أجب بأن هذا حكم الدائرة :

وأن سألت . لم كان (فاع لاتن) هكذا أجيب بان هذا حكم الدائرة . : وإلى الله المشتكى على أن البحر كله نادر ، ولم تجىء منه قصيدة كاملة ، حتى رفضه الأخفش وأبعده ، ومن المتأخرين من أحاله على أبحر أخرى ومنهم من ألحقه بالمتقارب . ومنهم من أضافه البسيط .

وقال المعرى فى الفصول والغايات انه لم ينظم فيه القدماء .

بت العيسُ (مفاعيلُ) بانوار (فاع لات) ، وهو الضرب صحيح كذلك ، وهذا البحر كله قليلٌ وروده ، ولعلَّ ذاك سبب هجر الأخفش إياه ، وإحالةِ غيره ما ورد منه على سواه من البحور .

* * *

وللتدرب عليه ، تستطيع أن تقطع هذه الأبيات ؛ وتبين عروضها وضربها وما تغير فيهما .

(ا) دعانى إلى سعادا دواعى هوى سعادا

(ب) فإن تدن منه شبرا يقرِّبك منه باعا

(ح) سلام على ديار بها نلت كل قصدى

(د) ألا حىِّ حَىَّ نجد فقد هاجَ وهْج وجدى

وإن جزتَ دار ليلى فلا تنس ذكر عهدى

رعى الله من رعى فى الـ مصلى حقوق وُدِّى

(هـ) أرى للصبا وداعا وما يذكر اجتماعا

لجدد وصال صب متى تعصه أطاعا

٥ ـ السريع

بناء أبيات هذا البحر على (مستفعلن . مستفعلن . مفعولاتُ)[١] مرتين ، فإن جاء على (مستفعلن . مستفعلن . مفعولاتُ) مرة واحدة كان مشطوراً .

أولا ـ السريع التام

١ ـ (ا) بُنَيق عصفورة شاديهْ   تلعبُ فى عشٍّ الصبا لاهية
سربها يهتزُّ فى أضلعى   تنام فى أعطافه هانيهْ

بُنَيق (متفعلن) عصفورة (مستفعلن) شاديهْ (مَفْعَلا) عروض أصلها (مفعولاتُ) حذف السابع المتحرك ، ويسمى حذفه كسفاً ، فصارت (مفعولا) ، ثم حذف الرابع الساكن ، وهذا هو الطى المعروف ، فصارت (مفعلا)

تلعب فى (مستعلن) عشِّ الصبا (مستفعلن) لاهيهْ (مَفْعُلا) ،ضرب مكسوف مطوى أيضاً .

وقد جاء على هذا الوزن قول العرجى :

---

(١) ماالتفعيلة الثالثة مكونة من سببين خفيفين ووتد مفروق ، ولا يخفى ما فى هذا الكلام من الغلط ، لأنه من المعلوم ضرورة أن آخر البيت إما أن يكون ساكنا ، وإما أن يكون متحركا ، فإن كان متحركا فلا بد من إشباع الحركة أو مدها ، وعلى هذا فعلة الكسف التى زعمها العروضيون مجرد وهم باطل ، لأنه عبارة عن حذف السابع المتحرك ، ولا سبيل إلى بقاء السابع متحركا دون مد الحركة أو إشباعها ، ومثل هذا يقال فى علة الوقف ، وهو تسكين السابع المتحرك .

عوجى علينا ربةَ الهودج　　إنك إن لا تفعلى تَحْرَجى
إنى أتيحت لى يمانيةٌ　　إحدى بنى الحارث من مَذْحج
نلبث حولا كاملا كلَّه　　لا نلتقى إلا على منهج
فى الحج إن حَجَّت وما ذامنى　　وأهله إن هى لم تحجُج

وقد تَبِعَه فى هذه الفَجرة أبو نواس حين قال :

وعاشقين التف خداهما　　عند التثام الحجر الأسود
نفعل فى المسجد ما لم يكن　　يفعله الأبرار فى المسجد

نعوذ بالله من الرِّجس !

* * *

(ب) وكاعب قالت لأترابها　　ياقومُ ما أعجب هذا الضريرْ
هل يعشَقُ الإنسان مالا يرى　　فقلت والدمع بعينى غزير
إن كان عينى لاترى وجهها　　فانها قد صُورت فى الضمير

وكاعب (متَفعلن) قالت لأتـ (مستفعلن) رابها (مفْعُلا) ، عروض مطوية مكسوفة .

ياقوم ما (مستفعلن) أعجب هـ (مستعلِن) ـذا الضريرْ (مفْعلاتْ) الأصل (مفعولاتُ) سكن السابع المتحرك ، فصارت (مفعولاتْ) ، ويسمى هذا وقفا ، ثم حذف الرابع الساكن ، وهذا هو الطيُّ المعروف ، فصارت (مَفْعُلاتُ) ، فالضرب مطوى موقوف .

ومنه قول عوف بن محلم الشيباني :

يا ابن الذى دان له المشرقانْ وألبس الأمنَ به المغربانْ

إن الثمانــين و بُــلّغتَها قد أحوجت سمعى إلى تَرجُمان

وأبدلتنى بالشّطاط الحنـــا وكنت كالصعدة تحت السِّنان(١)

وقاربت منى خُطًا لم تــكن مقاربات وثنتْ مــن عِنان

ولم تــدعْ فيَّ لمستمتع إلا لسانى ، وبحســبى لسان

أدعو به الله وأثــنى به على الأمير المُصْعبىِّ الهجان(٢)

* * *

(ج) ووردة جاء بهــا شادنٌ فى كفه اليمنى فحيانا

سبحت ربى حين أبصرتها ريحانةً تحمــل ريحانا

ووردة (متفعلن) جاء بها (مستعلن) شادن (مَفْعلا) عروض أصلها (مفعولاتُ) ، حذف منها الســابع المتحرك ، هذا يسمى كــفًا ، فصارت (مفعولا) ثم حذف الرابع الســاكن ويسمى طيًا ، فصارت (مَفْعُلا) فى كفه ال (مستفعلن) يمنى فحي (مستفعلن) يــانا (مفعو) ضرب أصله (مفعولاتُ) حذف منه الوتد المفروق ، وهذا يسمى صَلما فالضرب أصلَم .

وعليه قول البحترى ، يمدح المعتز بالله :

---

(١) الشطاط : الطول فى اعتدال . الصعدة : الرمح .

(٢) المراد بالهجان هنا : الأبيض .

رح بي الطيف الذى يسرى   وزادنى سكراً إلى سكرى
ونشوة الحُب لذا أفرطت   بالصب جازت نشوة الخمر
لله ماتجنى صروف النوى   على حد ث العهـد بالهجر
مهزوزة القَدِّ إذا ما انثنت   فى مشيها مهضومة الخصر
يلومني فى حبها من يرى   أن لجاج اللوم لا يغرى

* * *

٢- شمس وأقمار يطوف بها   طوفَ المنود حول بيت صنَمْ
النشر مسك والوجوه دنا   نير وأطراف الأكف عنَمْ

شمس وأق (مستفعلن) مارٌ يطو (مستفعلن) ف بها (مَعلا) عروض، أصلها (مفعولات) حذف السابع المتحرك؛ ويسمى كسفا، والرابع الساكن، ويسمى طياً، والثانى الساكن ويسمى خبنا، فإذا عرفت أن مجموع الطى والخبن يسمى (خبلا)، أمكن أن نقول: إن العروض مكسوفة مخبولة. طوفَ المنو (مستفعلن) د حول بي (متفعلن) ت صنَم (معلا)، وهى الضرب أصلها (مفعولات)، جرى عليها ماجرى على العروض، فالضرب مخبول مكسوف.

وعليه قوله (المرقش الأكبر)، على ما فيه من اضطراب:

هل بالديار أن تجيب صمم   لو كان رسمٌ ناطقا كلمْ
الدار قفـــر والرسوم كما   رقّشَ فى ظهر الأديم قلمْ

ديار أسماء السقى تبلت قلبي فعيني ماؤها يسجم
النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عنم

والنتيجة

أن السريع التام، عروضه تكون :

(١) مطوية مكسوفة

وضربها : مثلها ، أو مطوى موقوف ، أو أصلم .

(٢) مخبولة مكسوفة .

وضربها كذلك .

ثانياً : مشطور السريع :

من أينا تضحك ذات الحجلين[1]

أبدلها الله بــلون لونين

سوادَ وجه وبياض عينين

من أينا (مستفعلن) تضحك ذا (مستفعلن) ت الحجلين (مفعولاتْ) ، وهى للعروض والضرب معاً . سكن فيهما السابع المتحرك ، وهو المسمى وقفا ، فهما موقوفان :

وقد جاء من هذا النوع قول سالم بن دارة يهجو زُميلَ بن أبيرد وبنى فزارة

(١) الحجل : الخلخال

حدَّ بدَّبا بدَّ بدبا منك الآن
استمعوا أنشدُكم يا ولدان
إن بنى فزارة بن ذبيان
قد طرَّقت ناقتهم بإنسان
مشيَّىء، أعجب بخلق الرحمن (١)

***

إلى متى نرضى بعيش الذل
والضيم من مستعمر مُحتل
ينفث فينا سمه كالصِّلّ

إلى متى (متفعلن) نرضى بعيـ (مستفعلن) ـش الذلّ (مفعولا) هى العروض والضرب. حذف السابع المتحرك، وهو الكف المعروف، فالبيت مشطور، والعروض والضرب مكسوفان . . . والرأى عندى أن هذا ضرب من الرجز المشطور.

والتنبيه:

أن السريع المشطور يكون عروضه وضربه موقوفين، كما يكونان مكسوفين.

---

(١) مشيء، مخلق، شيء منه ناقة، وشيء منه إنسان! يعرض بما كانت ترمى به فزارة من غشيان الإبل، قال الفرزدق، يهجو ابن هبيرة الفزارى:

ولم يك قبلها راعى مخاض ليأمنه على وركى قلوس

أمثلة للتدريب

١ — قال حافظ إبراهيم فى حرب الروس واليابان :

أساحة للحرب أم محشر ... ومورد الموت أم الكوثر
وهذه حند أطاعوا هوى ... أربابهم أم نعم تنحر
لله ما أقسى قلوب الأولى ... قاموا بأمر الملك واستأثروا
وغرهم فى الدهر سلطانهم ... فأمعنوا فى الأرض واستعمروا
قد أقسم البيض بصلبانهم ... لا يهجرون الموت أو ينصروا
وأقسم الصفر بأوثانهم ... لا يغمدون السيف أو يظفروا
ومادت الأرض بأوتادها ... حين التقى الأبيض والأصفر

٢ — وقال شوقى :

هل تيم البان فؤاد الحمام ... فناح فاستبكى حنون الغمام
أم شفه ما شفنى فانثنى ... مبلبل البال شريد المنام
يهزه الأيك إلى إلفه ... هز الفراش المدنف المستهام
وتوقد الذكرى بأحشائه ... جمراً من الشوق حثيث الضرام
كذلك العاشق عند الدجى ... يا للهوى مما يثير الظلام
يا عادى ابين كفى قسوة ... روعت حتى مهجات الحمام
تلك قلوب الطير حملتها ... ما ضعفت عنه قلوب الأنام

٣ — وقال أبو عزة :

ويهاً بنى عبد مناةَ الرزام
أنتم حماة وأبوكم حام
لاتعدونى نصركم بعد العام
لا تسلمونى لا يحلُّ إسلام

أى لا يحل إسلامى للعدو

يأيها الجند الصليب الإيمان
قوموا قياماً واستعينوا الرحمن
إنى أتانى خبر ذو ألوان
أن علياً قتل ابن عفان

٥ — وقال عمر بن أبى ربيعةْ :

قالت ألا تلجن درانا إن أبانا رجل غائرُ
قلت فإنى طالبٌ غرّة منه وسيفى صارم باتر
قالت فإن القصر من دوننا قلت فإنى فوقه ظاهر
قالت فإن البحر من دوننا قلت فإنى سابح ماهر
قالت فحولى إخوة سبعة قلت فإنى غالب قاهر
قالت فليث رابض بيننا قلت فإنى أسد عاقر
قالت فإن الله من فوقنا قلت فربى راحم غافر
قالت لقد أعييتنا حجة فأت إذا ما هجع السامر
فاسقط علينا كسقوط الندى ليلة لا ناه ولا زاجر !

تطبيقات

١ - أمن السريع أم من الكامل .. قول الشاعر :

لا تشكون دهراً صححت به   إن الغنى فى صحة الجسم
هبك الإمام أ كنت منتفعا   بغضارة الدنيا مع السقم

قطع البيتين ، وبين عروضهما وضربهما ، وما أصابهما من تغيير .

٢ — جاء الربيع واطباك المرعى
واستنت الفصال حتى القرعى

هذان البيتان يمكن إلحاقهما ببحرين ، فما هما ؟

حقق ذلك بتقطيع الأول على كلا البحرين، وبيان ما لحق آخره من تغيير فى كلا الاعتبارين .

ثم بين ضرب الثانى

٣ — النشر مسك والوجوه دنانير وأطراف الأكف عنم .

يجوز أن يكون البيت من الكامل ، وأن يكون من السريع .

قطع البيت على كلا الاعتبارين . وبين عروضه وضربه وما بهما من تغيير

٤ — درب نفسك بتقطيع الأبيات ، من قول مهيار :

هل عند هذا الطلل الماحل   من جلد يجدى على سائل
أصم بل يسمع لكنه   من البلى فى شغل شاغل
وقفت فيها شبحاً ماثلا   مرتعداً من شبح ماثل
ولا ترى أعجب من ناحل   يشكو ضنى الجسم إلى ناحل

٦ — المقتضب

وبناء هذا البحر فيما قال العلماء على (مفعولاتُ ، مستفعلن ، مستفعلن) مرتين ، قالوا : ولا يكون إلا مجزوءاً[1] فيبنى على (مفعولاتُ ، مستفعلن) مرتين[2] ، ودونك شاهده :

قال الحكمى :

حاملُ الهوى تعب يَستخفه الطرَب
إن بكى يحق له ليس ما به لَعِبُ

حامل الهـ (مفعلات) ـوى تعبُ (مستعلن) عروض حذف منهـا الرابع السا كن فهى مطوية .

يستخفـ (مفعلاتُ) ـه الطرب (مستعلن) ، ضرب مطوى أيضاً

ونظير ذلك قول شوقى :

حف كأسها الحبب فهى فضة ذهبُ
أو دوائر درر مائج بها لببَ

---

(١) وما قلناه فى المضارع من أن دعوى الجزء لادليل عليها يجرى هنا أيضا .

(٢) ومن العلماء من أنكر المقتضب لعدم وروده عن العرب ،ومنهم من أثبته وألحقه بحر المتدارك ، ومنهم من أثبته وألحقه بحر الرجز . ومنهم من أثبته وألحقه بحر المنسرح وقال إن الجزء جاء فى الصدر بحذف التفعيلة الأولى ! ! والأمر لله .

أو فم الحبيب جلا   عن جمانه الشنب
أو يداه باطنها   عاطل ومختضب
أو شقيق وجنته   حين لى به لعب
راحة النفوس، وهل   عند راحة تعب

والنتيجة :

أن المقتضب عروضه مطوية ، وضربه مطوى أيضاً .

* * *

مثال للتدريب

الحرير ملبسها   واللجين والذهب
والقصور مسرحها   والرمال والعشب
فالقدود بانُ رباً   بيد أهلها تثبُ
يلعب العناق بها   وهو مشفق حَدب
فهى مرة صُعُد   وهى مرة صَبب
الرءوس مائلة   فى الصدور تحتجب
والنحور قائمة   قاعد بها الوصب
والنهود هامدة   والخدود تلتهب
والخصور واهية   بالبنان تنجذب

تطبيق

١ — قطع الأبيات الآتية ، وبين العروض والضرب وحالهما :

(ا) ليت قومنا غضب　　　يوم ينفع الغضبُ
(ب) تضحكين لاهية　　　والمحب ينتحب
تعجبين من سقمى　　　صحتى هى العجب
(ج) العفاف زينتها　　　والجمال والحسب

٢ — أكمل الأبيات الآتية بحيث تكون أبياتاً من المقتضب :

(ا) حول عرشه عجم　　　حول عرشه . . . . . .
(ب) حاضر لدى طلب　　　حاضر ولا . . . . . .
(ج) لو مدحتكم زمنى　　　لم أقم بما . . . . . .

٣ — رتب الكلمات الآتية بحيث تكون أبياتاً من المقتضب :

(ا) مائلة . الظباء ، الليوث . تنسرب .

(ب) والطريق . نحوه . ومنشعب . ومتصل .

(ح) هكذا . الكرام . وإن . طربوا . هموا . كرام .

ثم بين عروض الأخير وضربه .

٧ ـ المجتث

وبناؤه ، فيما قالوا ، على (مستفعلن . فاعلاتن . فاعلاتن) مرتين .

قالوا : ولا يجيء إلا مجزوماً ، أي أنه يتكون من (مستفع لن فاعلاتن) مرتين .

وهاك شاهده :

تعيش أنت وتبقى أنا الذى مت حقا
حاشاك يا نور عينى تلقى الذى أنا ألقى

تعيش أنـ (متفع لن) ـت وتبقى (فعلاتن) وهى العروض ، مخبونة ، وخبنها غير لازم ، ولذا تدعى صحيحة .

أنا الذى (متفعلن) مت حقا (فاعلاتن) وهو الضرب . صحيح أيضاً . ومما جاء على هذا البحر قول التيجانى يوسف بشير يصف جزيرة توتى بالسودان :

يا درة حفها الماء واحتواها البرُّ
ورب قنواء للعصم والأنوق مقر[1]
أوفى على النيل فرع منها وأشرف جذر
يقلها الدهر عرقا ن مستطيل وشبر
يكاد يلفظها الشط وهى شمطاء بكر

---

(١) يصف شجرة مطلة على النيل ، ومراده بالقنواء المرتفعة . والعصم جمع أعصم وعصماء وهى ضرب من الوعول تغشى ذرا الجبال لا رءوس الاشجار . والانوق : الرخم تضع بيضها فى مكان عال مصون .

النتيجة :

أن المجتث لا يجيء إلا مجزوماً ، وأن عروضه أبداً صحيحة وضربها صحيح مثلها .

* * *

أمثلة للتدريب

١ - قال التيجاني يوسف بشير ، وقد أعجبه منظر الأجنبيات من البيض الرعابيب يغشين الكنائس في السودان :

آمنت بالحسن دينا وبالصبابة نارا
وبالكنيسة عقداً منضدا من عذارى
وبالمسيح ومن طا ف حوله واستجارا
إيمان من يعبد الحسـ ـن في عيون النصارى

٢ - وقال أيضا :

أذبت من خمر روحي على يديه ونفره
بقية من ربيع شقيت وحدي بزهره

٣ - وقال سبط ابن التعاويذي :

بمن أباحك قتلي علام حرّمت وصلي
أنفقت فيك دموعي والدمع جهد المقل
أتعبت نفسك ياعا ذلي عليه بعذلي
كيف السلو وقلبي رهن لديه وعقلي

تطبيق

١ — قال الزهاوى:

ياشعر إنك فى الحق صورة اشمورى

وأنت الناس ياشعر ترجمان ضميرى

افصل الشطرين الأولين عن الأخيرين فى البيتين، مستعيناً بالتقطيع.

٢ — وقال التنوخى العروضى

لا تحبس الطفل ظلماً فى الحضن خوفاً عليه

حضن الطبيعة أحنى عليه من والديه

سرحه يلعب طليقاً فالكون بين يديه

قطع ما سبق من أبيات، وبين أضربها

٣ — وجاء فى رواية العباسة:

جعفر: بين الجوانح قلب مدله بك صب

يعطو إليك ويهفو فان دجا الليل ...

محلا عنك صاد والورد ملآن ...

هواك لى حين أغفو جوى وحين أهب

العباسة: فما نفى البرح بعد ولا شفى الوجد ...

لما رأيتك رنت نفس وصفق ...

أكمل الأبيا إكالا مناسباً .

٤ — الأبيات الأربعة الآتيـة من شعر حافظ إبراهيم بعنوان (سوق عكاظ) :

رتبها بحيث تـكون من بحر المجتث ، وهى (سينية) الروى :

(ا) عكاظ . أتيت . بأمر . أسمى . الرئيس . سوق .

(ب) الرءوس . قواف . منكسات . أزجى . إليه .

(ج) تزهى به . بذات . ليست . رواء . فى الطروس .

(د) ولا بذات . يسرى . فى النفوس . جمال . بها .

إجمال للزحافات والعلل

عرفت أنماطا من التغييرات تتوارد على الأعاريض والضروب ، بيد أن منها ما يلزم ، ومنها ما يفارق. ومن ثم جعلوا بعض هذه التغييرات زحافات لا تلزم ، وبعضها عللا تلزم .

الزحافات

تغييرات تعرض لثواني الأسباب ، وتجول في البيت كله فهي تدخل العروض والضرب وتدخل الصدر والحشو ثم هي ، في الكثير الغالب ، لا تلزم بل تطرأ وتزول .

والزحاف يكون الحذف ، ويكون بالتسكين .

وهو نوعان :

(ا) يكون بحذف الثاني الساكن ، ويسمى خبنا . فمثل فاعلن يصير بالخبن (فعلن) . وبحذف الثاني المتحرك ، ويسمى وقصاً ، فمتفاعلن تصير به (مُفَاعلن) وهو نادر . وبتسكين الثاني المتحرك ويسمى إضماراً ، فمتفاعلن تصير به (متْفاعلن) .

(ب) ويكون بحذف الرابع الساكن ويسمى طيا . فمثل مستفعلن يصير به (مستعلن) .

(ﺣ) ويكون بحذف الخامس الساكن ، ويسمى قبضا ، فمفاعيلن مثلا تصير به (مَفَاعلن) ، كما يكون بحذف الخامس المتحرك ، ويسمى عقلا ، فمفاعلتن تصير به (مفاعلتن) هو نادر .

ويكون بإسكان الخامس متحركا ويسمى عصباً ، فمفاعَلتن مثلا تصير به (مفاعْلتن) .

(د) ويكون بحذف السابع الساكن ويسمى كفا . فمثل فاعلاتن تصير به (فاعلاتُ)

٢ – زحاف مزدوج :

(أ) وذلك حيث يجتمع الخبن والطى ، ويسمى ذلك خبلا ،فمثل مستفعلن تصير به (متَعِلن)

(ب) وحيث يجتمع الإضمار والطى ، ويسمى ذلك خبلا ، فمتفَاعلن تصير به (متْفَعلن) .

(ﺣ) وحيث يجتمع الخبن والكف ، ويسمى شكلا . فمثلا فاعلاتن تصير به فَعِلاَت)

(د) وحيث يجتمع العصب والكف ويسمى ذلك نقصاً ، فمفاعَلتن تصير به (مَفاعَلت)

هذا . والمزدوج كله قبيح .

العلل

تغييرات تنال الأسباب والأوتاد جميعاً ، ولكنها لا تبرح العروض والضرب ، فإذا أصابت أحدهما أو كليهما لزمته فى سائر القصيدة ، أكثر الأحيان ، والعلة تكون بالزيادة كما تكون بالنقص .

١ — علل الزيادة :

ولا تراها الا فى المجزوءات .

(ا) وتكون بزيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع ، وتسمى ترفيلا ، وبها تصير فاعلن مثلا إلى (فاعلاتن)

(ب) وتكون بزيادة حرف ساكن على ما آخره وتد مجموع ، وتسمى تذييلا ، وبها تصير فاعلن مثلا إلى (فاعلانْ) .

(ج) وتكون بزيادة حرف ساكن على ما آخره سبب خفيف . وتسمى تسبيغا ، وبها تصير فاعلاتن (فاعلاتانْ)

٢ — عِلَل النقص :

(ا) وتكون بحذف السابع متحركا ، وتسمى كَشْفاً ، وبها تصير مفعولاتُ إلى (مفعولا) :

(ب) وتكون بحذف سبب خفيف ، وتسمى حذفاً ، وبها تصير فاعلاتن مثلا إلى (فاعلا) :

(ج) وتكون بحذف الوتد المجموع ، وتسمى حذَذاً ؛ وبها تصير متفاعلن إلى (مُتفا)

(د) وتكون بحذف الوتد المفروق، وتسمى صلما، وبها تصير مفعولات إلى (مفعو).

٣ - علل النقص مع الإسكان :

(ا) وتكون بحذف ساكن السبب الخفيف وإسكان ما قبله ، وتسمى قصراً ، وبها تصير فاعلاتن مثلا ، إلى (فاعلاتْ)

(ب) وتكون بحذف ساكن الوتد المجموع وإسكان ما قبله ، وتسمى قطعاً وبها تصير متفاعلن إلى (متفاعلْ).

(حـ) وتكون بحذف السبب الخفيف، وإسكان الخامس المتحرك المعروف بالعصب ، وتسمى قطفاً ، وبها تصير مفاعلتن إلى (مفاعلْ).

(د) وتكون بحذف السبب الخفيف ، مع حذف ساكن الوتد المجموع وإسكان ما قبله وهو المعروف بالقطع ، وتسمى بترا ، وبها تصير فعولن مثلا إلى (فع).

٤ - علة الإسكان فقط :

وتكون باسكان السابع المتحرك وتسمى وقفاً ، وبها تصير مفعولات إلى (مفعولاتْ).

العلل الجارية مجرى الزحاف

قدمنا لك أن العلل تلزم ماتقع فيه ، وأنها لا تكون إلا في عروض أو ضرب وأنها تنال الأوتاد كما تنال الأسباب .

والآن نظهرك على أن بعض العلل يخرج عن هذا الأصل ، فلا يلزم ، بل يكون جارياً مجرى الزحاف فى الطروء والزوال .

١ – ترى ذلك فى نحو قول أبى الطيب :

ذَلَّ من يغبط الذليل بعيش   رُبَّ عيش أخف منه الحمامُ

من يَهن يسهل الهوان عليه   ما لجرح بميت إيلام ُ

وتقطيع الأول هكذا :

ذل من يغ (فاعلاتن) ـبط الذَّلي (مُتَفْعلن) ل بعيش (فعلاتن) .

رُبَّ عيش (فاعلاتن) أخف من (متفعلن) ـه الحمام (فاعلاتن) والذى نريد أن ندلك عليه هو أن ضرب هذا البيت صحيح .

ولنقطع البيت الآخر :

مَنْ يهن يسـ (فاعلاتن) ـهل الهوا (مُتفعلن) ن عليه (فعلاتن)

ما لجرح (فاعلاتن) بميت (متفعلن) إيلام (فالاتن) .

وأنت ترى أن ضرب البيت الثانى قد حذفت منه (العين) وهى أول الوتد المجموع وهذا الحذف يسمى (تشعيثاً) ، وهى علّة ، لأنها قد لحقت (وتدا) ومع ذلك فهى غير لازمة .

فالتشعيث علة غير لازمة فى بحر الخفيف ، وكذا فى بحر المتدارك .

تستطيع أن تتعرف على ذلك بمراجعة ما علقنا به من قول العروضيين فى البيتين :

ما بال العـــــاذل يفتح لى باب السلوان وأوصده
ويقـــول تـكاد تجن به فأقول وأوشك أعبـــده

فترى أن منهم من يزعم أن بعض هذه التفعيلات قد دخله التشعيث ، وأن هـــذا التشعيث جار فى الأعاريض والأضرب كما هو جار فى الحشو ، وبذا يشاكل الزحاف من وجهين : الأول عدم لزومه ، والثانى مجيئه فى الحشو

٢ — ترى ذلك فى نحو قول حافظ:

حطمت اليراع فـــلا تعجبى وعفت البيان فـــلا تعتبى
فما أنت ، يا مصر ، دار الأديب ولا أنت بالبلد الطيب !

وتقطيع الشطر الأول هكذا :

حطمت الـ (فعولن) يراع (فعول) فلا تع (فعولن) جبى (فعو) ، وهذه عروض محذوفة ، والحذف علة ، فالأصل فيها اللزوم .

وتقطيع الشطر الأول من البيت الآخر هكذا :

فما أنـ (فعولن) ت يا مصـ (فعولن) ـردار الا (فعولن) أديب (فعول) فالعروض ههنا ليست محذوفة بل مقبوضة .

وإذن فالحذف لا يلزم فى عروض المتقارب .

والتنبيه :

أن هناك عللا[1] تجرى مجرى الزحاف فى عدم لزومها لما تلحقه ، وفى ورودها حشواً . ومن ذلك التشعيث فى بحرى الخفيف والمتدارك ، والحذف فى بحر المتقارب .

---

(١) قالوا : ومن ذلك علة سموها (الخزم)، وهى زيادة حرف إلى أربعة أحرف فى أول البيت مثل :

وكأن أبانا فى أفانين ودقه كبير أناس فى بجاد مزمل

فالواو مزيدة ؟ . وأظن هذا من أخطاء الرواة

ومن ذلك علة سموها (الخرم) بالراء المهملة ، وهو سقوط أول الوتد المجموع فى أول البيت ، وأنت تراه فى الطويل ، فتكون تفعيلته الأولى (عولن) بدل فعولن كقول الشاعر :

شاقتك أحداج لسلمى بعاقل فعيناك للبين تجودان بالدمع

التفعيلة الأولى : شاقت ، ووزنها (عولن) بحذف الفاء ، وذلك الخرم

القافية

مقدمة :

مما يعين على اتساق النغم ، هـذا التماثل والانسجام الذى تختم به وحدات القصائد المسماة بالأبيات ... فلذلك من التأثير بموسيقاه ، ما للوزن المستقيم نفسه فى شعور السامع .

ومن ثم اتجهت العرب بفطرتها إلى هذا التوافق بين أواخر الأبيات، حتى يتم التأثير فى السامع ، بالتركيب القويم ، والوزن الموسيقى ، والختام المنسجم .

وحروف آخر البيت التى يلزم أن يراعى فيها الإنسجام ، بالاتحـاد فى النوع ، أو فى الحركة ، أو الإعراب . تسمى (القافية) .

ما حروف القافية التى تلزم وتتكرر فى كل بيت ؟ وما الحركات التى تلزم وتتكرر فى كل بيت ؟ وما العيوب التى تعترى القافية ؟ . . ذلك ما سوف نتناوله بالدراسة .

(أ) تعريف القافية

إذا أردت أن تعرف قافية بيت ما ، فابدأ بآخره واعرف آخر ساكن فيه ، ثم اعرف الساكن الذى قبله ، والمتحرك قبل هذا الساكن ، وبذلك تكون قد عرفت القافية .

لأن القافية عبارة عن آخر ساكنين فى البيت ، وما بينهما ، والمتحرك الذى قبل أولهما .

وهاك طائفة من الأبيات نريك قافيتها :

(ا) أنت على مالك من مروءة رميت بالغدر أحب من وفى

الساكن الأخير هو (ألف وفى)، والساكن الذى قبله هو (نون من) والمتحرك الذى قبل هذا الساكن هو الميم . . إذن قافية هذا البيت هى : (من وفى) وهى كلمتان .

(ب) لا تخدعونى قادراً وعاجزاً كفى غروراً بالولايات كفى

الساكن الأخير هو (ألف كفى) . والذى قبله هو الألف التى قبل التاء فى الولايات ، والمتحرك الذى قبل الساكن هو (ياء الولايات) . . إذن فقافية البيت هى (يات كفى) وهى كلمة وبعض أخرى .

(ج) فقشعريرة الخوف اعترتنى ولم تسكن .

إذا ما اقشعرت تحتى الأرض تمترى

إذن : فالقافية هى (تمترى) . وهى كلمة .

(د) وما منزل الأبطال إلا رحى الوغى

إذا هى دارت أو رواق المعسكر

الساكن الأخير : هو الياء الناشئة من إشباع كسرة الراء الأخيرة ، والساكن الذى قبله : هو السين ، والمتحرك الذى قبلها . هو العين ، إذن فالقافية هى (عسكر) وهى بعض كلمة .

فقد ظهر لك أن القافية هي الحرفان الساكنان الأخيران ، وما بينهما ، والمتحرك الذى قبل الأول منهما ، وأنها قد تكون مركبة من كلمتين، أو من كلمة وبعض أخرى ، وقد تكون كلمة واحدة أو بعض كلمة .

تدريب

عين القافية فيما يأتى ، وبين ما تركبت منه (كلمتين أو كلمة أو بعض كلمة ...)

(١) قال أبو ماضى :

مازلت أحسب أنَّ الحبَّ زايلنى حتى نظرت إليها وهى تبتسم
فاهتزَّ قلبى كما تهـتز نابتة فى القفر مر عليها النور والنسم
ياحبها لاتخف شيباً ولا هرماً فليس يقوى عليك الشيب والهرم

(ب) وقال أيضاً :

أقاح ذاك أم شَنَب(١) وربـق ذاك أم ضرَب
ووجه ذاك أم قمـر وخـد ذاك أم ذهب
جمـال غير مكتسب وبعـض الحُسن يكتسب
شكلت الظرف عاذلتى أهـذا الحسن يجتنب ؟
عددت لها العيوب وليـس إلا الظرف والأدب
فتـاة بين مبسمها وبين عقـودها نسب

(١) الشنب : برد وعذوبة فى الثغر، يقال امرأة شنباء: بينة الشنب .

لواحظها تَمنّها الهند لكن أهلها عرب
مرنّحة إذا خطرت رأيت الغصن يضطرب
مشَتْ وَوَنت روادفها فكاد الخصر ينجذب
يسر العاذلون إذا نأت ويعودُ لى الوصب
ويصطخبون إن قربت وعندى يحسن الطرَب
فأبكى كلما ضحكوا وأضحك كلما غضبوا

(ب) حروفها

(١) الروىّ ، وما بعده

١ – الروى . هو الحرف الذى تبنى عليه القصيدة ، ويتكرر بتكرار الأبيات ، وربما نسبت القصيدة إليه ، فيقال مثلا إن القصيدة أو المقطوعة دالية فى مثل قول شوقى :

أما الشباب فقد بَعُدْ ذهب الشباب فلم يَعُدْ
ويحى أمن بعد السنين وقد مرَرْنَ بلا عدَدْ
أو بعد طول تجاربى ومكان علمى فى البلد
تجنى الحسانُ علىَّ ما لم تجن قبلُ على أحد

ألست ترى أن الدال الأخيرة قد تكررت فى سائر المقطوعة ، وأن الحرف الذى قبلها اختلف ، فهو مرة عين ، وأخرى دال ، وثالثة لام ورابعة حاء . إذن فالدال روى ، وهذه المقطوعة (دالية)

٢ — الوصل : هو حرف ينشأ عن إشباع حركة حرف الروى . وإذا وجد فى بيت فلابد من وجوده فى سائر الأبيات ؛ ترى ذلك فى مثل قول شوقى :

وأنت الذى لو بيع بالروح وده   ومالى سوى روحى، تقدمت أشترى

الروى هو الراء ، وحركتها الكسرة ، وقد نشأ عن إشباعها الياء ، وتسمى وصلا . كذلك قوله :

الحرب تعلم والأيام تشهد لى   أنى شديد على الأعداء جبار

الروى هو الراء ، والوصل الواو الناشئة عن إشباع حركة الروى ، وهى الضمة ، كذلك قول الآخر :

خلق الناس للقوى المزايا   وتجنوا على الضعيف الذنوبا .

الوصل هو الألف الناشئة من حركة الروى .

ويطلق الوصل كذلك على الهاء التى تلى حرف الروى ، كقول شوقى :

إن الصلاة على شدة الزمان معينه

النون هنا هى الروى ، والهاء وصل .

٣ — وقد تكون هاء الوصل متحركة فيتولد عن إشباع حركتها حرف : ألف ، أو واو ، أو ياء ، وهذا الحرف الناشىء عن إشباع حركة هاء الوصل ، يسمى خروجاً .

فالخروج بالألف كقول شوقى :

إنى لأخشى الكأس أن تجرى دما   فتصيب شيئاً من رشاش عقارها

الراء روى ، والهاء وصل ، والألف خروج .

والخروج بالياء كقوله :

اسكب دموعك لا أقول استبقها   فأخو الهوى يبكى على أحبابه (ى)

الباء الأخيرة روى ، والهاء وصل ، والياء المتولدة عن إشباعها خروج .

والخروج بالواو كقوله :

فازور غضبانا وأعرض نافراً   حال من الغيد الملاح عرفته (و)

فصرفت تلعابى إلى أترابه   وزعمتهن لبانتى فأغرته (و)

فمشى إلىّ وليس أول جؤذر   وقعت عليه حبائلى فقنصته (و)

التاء روى ، والهاء وصل ، والواو الناشئة عن إشباع ضمتها خروج .

(٢) ماقبل الروى

١ — الردف : وهو حرف مد قبل الروى ويجيئك ألفا كقول شوقى :

اليوم أقصر باطلى وضلالى   وخلت كأحلام الكرى آمالى

وصحوت من لعب الحياة ولهوها   فوجدت للدنيا خمار زوال

الروى هو اللام ، والألف قبلها ردف .

ويجيئك واوا كقوله :

العاثرات من الدلال الناهضات من الغرور

المسترعات من النعيم الراويات من السرور
الناعمات الطيبات العَرْف أمثال الزهور

الروى الراء ، والواو قبلها ردف .

ويجيئك ياءاً كقوله :

تنهى وتأمر ما بدا لك فى الكبير وفى الصغير
لا تستشير وفى الحمى عدد الكواكب من مشير

الروى الراء ، والياء قبلها ردف .

٢ — التأسيس : ٣ — الدخيل .

فالتأسيس ، ألف بينها وبين الروى حرف ، وهذا الحرف الذى يفصل ألف التأسيس عن الروى ، يسمى (الدخيل) ومثالها قول شوقى :

لقد قلت قولاً شفَّ عما وراءه وقامت على لؤم النجار الدلائلُ
ومالك كالأبطال سيف تجيله ولكن لسانٌ بالسفاهة جائل

فاللام روىّ والألف تأسيس ، والهمزة بينهما دخيل .

تدريبات

١ — الأبيات التالية مؤسسة ، بيِّن ما فيها من تأسيس ، وحدد حرف الروى ، وعيِّن وسمِّ الحرف الذى بين تأسيسها ورويها .

قال شوقى :

يقولون يرثى الراحلين فويحهم أأمَّلت عند الراحلين الجوازيا

أبَوْ حَسَداً أن أجمل الحىّ أسرة　　لهم ومثالا قد يصادف حاذيا
ولما رثيت الميْت أقضى حقوقه　　وجدت حسوداً للرفات وشانيا
إذا أنت لم ترع العهود لهالك　　فلست لحىٍّ حافظَ العهد راعياً

٢ – الأبيات التالية مردوفة ، بيِّن ما فيها من ردف ، وحدِّد حرف الرويّ ، وسَمّ ما بعده من حروف .

(ا) قال المتنبى :

أسد يرى عضويه فيك كليهما　　متنا أزلّ وساعدا مفتولا
أنِفُ الكريم من الدنية تارك　　فى عينه العدد الكثير قليلا
وكأنما غَرَّته عينٌ فادَّنى　　لا يبصر الخطب الجليل جليلا
والعارُ مضّاض وليس بخائف　　من حتفه من خاف مما قيلا

(ب) وقال الفرزدق .

تبكى المراغة بالرّغام على ابنها　　والناهقات يَنُحْن بالإعوال
قالوا لها احتسبى جريراً إنه　　أودى المزير به أبو الأشبال
ألقى عليه يديه ذو قومية　　وَرْدٌ ، فدق مجامع الأوصال
قد كنت لو نفع النذير نهيته　　ألا يكون فريسة الرئبال

٣ – هل يمكن أن يجتمع الردف والتأسيس فى بيت واحد ، ولماذا ؟

٤ – بيِّن القافية والروى فيما يلى :

(ا) قال شوقى فى الأهرام :

هى من بناء الظلم إلا أنه　　يبيضّ وجه الظلم منه ويشرق

لم يرهق الأممَ الملوكُ بمثلها | فخراً لهم يبقى وذكراً يعبق
فتفت بشطيك العباد فلم يزل | قاص يمجمها ودان يرمق
وتضرعت مسك الدهور كأنما | فى كل ناحية بَخُورٌ يحرق

(ب) وقال أبو ماضى :

ليت الذى خلق العيون السودا | خلق القلوبَ الخافقات حديدا
لولا نواعسها ولولا سحرها | ماود مالكٌ قلبه لو صيدا
عوّذ فؤادك من نبال لحاظها | أو مُتْ كما شاء الغرام شهيداً
إن أنت أبصرت الجمال ولم تهم | كنت امرءًا خَشِنَ الطباع بليدا
وإذا طلبت مع الصبابة لذة | فلقد طلبت الضائع الموجودا

● — بيِّن القوافى وحروفها فى الأمثلة الآتية :

(ا) قال أبو ماضى .

فيا أمةً قد طال عهد سباتها | متى يكشف الإصباح عنك الدياجيا
إلى كم تودين البقاء لمعشر | يقاوم يدنى إليك التلاشيا
ثلاثة أجيال تقضت وأنتم | تسامون منهم ما تسام المواشيا[1]

(ب) وقال ابن قيس الرقيات :

بكر العواذل فى الصباح يلومننى وألومهنَّهْ
ويقُلن شيب قد علاك وقد كبرتَ فقلت: إنه
لابد من شيب فدَعْن ولا تطلن ملامكنه

---

(١) كذا ، وهو خطأ نحوى .

(ح) وقال شفيق جبرى :

بالأنفور من الضيـــاع فمن يغيث ومن يناضـل
قل النصـــير فليس ينصرُ فى الشدائد والنوازل
إلا الأسنةُ والصوارم والمـــــــدافع والقنابل

(د) وقال الشيخ شفيق معلوف ، وقد وقف عند نصب تذكارى لأخيه فوزى:

فوزى ومالى بالخطـوب يدان ... أو هـكذا الأخوان يلتقيان ؟
قدست صدرى للعناق فلم يقع ... إلا على حجر من الصوان !

(هـ) وقال ابن زيدون :

أما هواك فـــلم نعدل بمنهـله ... شربا وإن كان يروينا فيظمينا
لم نجفُ أفق جمال أنت كوكبه ... سالين عنه ولم نهجره قالينا
ولا اختياراً تجنبناه عن كثب ... لـكن عدتنا على كره عوادينا
دومى على العهد مادمنا محافظةً ... فالحر من دان إنصافا كما دينا(١)

(ح) العيوب المتعلقة بالحروف

(١) إنما عرفناك القافية وحروفها لنبين لك العيوب التى تخل بموسيقاها وهذه العيوب منها مايتعلق بالقافية كلها ، كما إذا كررت كلمة القافية فيما دون سبعة أبيات من القصيدة ، وليس يقع شاعر فى هذا التـكرار إلا نادراً كقول الشاعر :

---

(١) دان : جزى .

لعلك ياعلا ، ترى بجزيرة تعاقب ليلى أن ترانى أزورها

على دماء البدن إن كان بعلها يرى لى ذنباً غير أنى أزورها

وربما كرر الشاعر القافية ولكن مع اختلاف فى معنى اللفظين ، وهذا معيب أيضاً عند الأكثرين ، كقول شوقى :

ولو ذاقوا هوى العلم كما ذقت ، فنوا فيه

ألا يارب خداع من الناس تلاقيه

يعيب السم فى الأفعى وكل السم فى فيه

فأنت تراه قد كرر كلمة (فيه) وهى القافية ، إذ جاءت فى بيته الأول والثالث .

•(ب) هذا نبأ القافية فأما الحروف فأنت قد عرفت أنها الروى والوصل والخروج ، والردف ، والتأسيس ، والدخيل .

فأما الروى ، فإنه ملتزم ، فإذا كان روى البيت الأول ميما ، أو لاماً ، أو ياء ، وجب أن يستمر إلى آخر القصيدة . وهذا أمر ظاهر .

فإذا اختلف حرف الروى ، وكان الحرفان متقاربين ، فذلك يسمونه (عيب الاكفاء) مثل :

بنىَّ إن البرَّ شىء هيّنُ

المنطق الليّنُ والطعيم

أما إذا كان الحرفان متباعدين فذلك مايسمونه (الإجازة) ، وقد مثلوا بقول الشاعر :

خليلى سيرا ، واتركا الرحل إننى   بمهلكة والعاقبات تدور

فبيناه يسرى رحله ، قال قائل :   لمن جمل رخو الملاط نجيب

فأنت ترى الشاعر فى البيتين السابقين قد خالف بين حرفى الروى ، فجاء نونا ثم ميما ، وهما حرفان متقاربا المخرج ، بينما تراه فى هذين البيتين قد خالف بين حرفى الروى فجاء به راء وباء ، وهما حرفان متباعدا المخرج ، فالراء من سقف الحنك ، والباء من الشفة . . وإذا كان (عيب الإكفاء) مرذولا ، فإن (عيب الإجازة) أشد استرذالا .

(ج) وإذا كانت القافية موصولة (بألف أو واو أو ياء ، أو موصولة بهاء) . وجب أن يستمر الحرف الذى وصلت به إلى آخر القصيدة ، فإذا كان أول القصيدة موصولا بألف مثل :

قبر الوزير تحية وسلاما   الحلم والمعروف فيك أقاما

وجب أن يستمر وصل الميم بالألف ، فيقال ، أعواما ، وصاما ، رماما ، غماما ، رخاما الخ .

وإذا كان أول القصيدة موصولا بواو مثل .

انظر إلى الأقمار كيف تزول   وإلى وجوه السعد كيف تحول

وجب أن يستمر وصل اللام بالواو ، فقال : تميلُ ، مهيل ، بطول . قتيل ، سبيل ، ذيل ، تضليل ... الخ .

وإذا كان أولها موصولا بياء مثل :

المشرقان عليك ينتحبان   قاصيهما فى مـأتم والدانى

يجب أن يستمر وصـــل النون بالياء فيقال : رضوانِ ، الحرمان ، ، السلطان .

وإذا كان أولها موصولا بهاء ، مثل :

كاتبٌ ، محسن البيان صناعهْ استخف العقول حيناً يراعه

وجب أن يستمر وصل العين بالهاء ، فيقال : ، شماعه ، طباعه ، ضراعه شراعه . . ألخ .

وهل يقبل من الشاعر ، أن يبدأ قصيدته موصولة بلين أو هاء ، يخليها من الوصل ، أو بغير حرف الوصل :

(د) وإذا كان فى القافية خروج وجب أن يبقى الخروج إلى آخر القصيدة. ألفاً ، أو واواً ، أو ياء ، ففى قول شوقى :

نجـــا وتمائل ربانها ودَقَّ البشائر ركبانها

نجد أن النون روى ، والهاء وصل ، والألف خروج ، ويجب أن تستمر ألف الخروج إلى آخر القصيدة؛ فيقال : سكانها ، طوفانها ، رحمانها ، شكرانها نيرانها ، أوطانها ، إحسانها . وفى قوله :

فى الموت ما أعيا وفى أسبابه كل امرىء رهن بطىّ كتابه

نجد أن الباء روى ، والهاء وصل ، والياء خروج ، ويجب أن تستمر ياء الخروج إلى آخر القصيدة ؛ فيقال : بنابه ، أذنابه ، من بابه ، عذابه أنيابه أوصابه . الخ .

فى قوله :

السحر من سود العين لقيته　　والبابلى بلحظهن سقيتـــه

نجد أن التاء روى ، والهاء وصل ، والواو خروج ، ويجب أن تستمر واو الخروج إلى آخر القصيدة ، فيقال : مبيته ، رحمته ، أغرقته ، قنصته ، صدته . وهبته . . ألخ :

(هـ) وإذا كان فى القافية الأولى تأسيس ، وجب أن يستمر إلى آخر القصيدة ، فلا يصح أن يكون البيت الأول مؤسساً وما بعده بلا تأسيس ، فاذا جاءك مثل قول البهاء زهير :

قلبى على السلوان قـــــادر　　وسواى فى العشاق غادرْ

وجب أن تظل أبيات القصيدة كلها مؤسسة ؛ فيقال السرائر ، طائرْ ، نافر ، عاقر . فإذا أسس بعض الأبيات دون بعض كان ذلك عيباً يسمونه (سناد التأسيس) ، كما فى قول الشاعر :

لو أن صدور الأمر يبدون للفتى　　كأعجازه لم تلفه يتندم

إذ الأرض لم تجهل على فروجها　　وإذ لىَ عن دار الهوان مراغم

فالبيت الثانى مؤسس دون الأول . . وأنت تدرك كيف اختلت الموسيقى بين البيتين

(و) وإذا كان فى القافية دخيل . . فإنه لا يلزم أن يستمر بذاته فى القصيدة كلها . فيمكن أن يكون دالا فى أول القصيدة ، كقول البهاء السابق :

قلبى على السلوان قادر　　وسواى فى العشاق غادر

ثم يكون همزة ، أو فاء ، أو قافا ؛ فيقال : طائر ، وزائر ، ونافر ، وغافر ، وعاقر . . ألخ .

(ز) وإذا كان فى القافية ردف فإنه إذا كان ألفاً مثل

أيها العمال أفنوا العمر كدا واكتسابا

وجب أن يبقى إلى آخر القصيدة ألفاً ، فيقال : عتابا ، تغابى ، الترابا ، العجابا . . ألخ .

أما إذا كان واواً أو ياء ، فإنه يصح أن يردف بالواو فى أول القصيدة ثم يردف بالياء وبالعكس . . كقول شوقى فى السلطان عبد الحميد :

دخلوا السرير عليك يحـ ... تكمون فى رب السرير
أعظمْ بهم من آمريـ ... ن وبالخليفة من أسير
أسـد هصور أنشب الـ ... أظفار فى أسد هصور
صبروا لدولتك السنيـ ... ن وما صبرت سوى شهور

فأنت تراه يتقلب فى الردف بين الياء والواو ، ولا يلتزم إحداهما .

فإذا جاء بعض أبيات القصيدة مردوفا ، وبعضها خالياً من الردف بتة فإن ذلك يكون عيباً يسمونه (سناد الردف) كقول بشار :

إذا كنت فى حاجة مرسلا ... فأرسل حكيما ولا توصه
وإن باب أمر عليك التوى ... فشاور لبيبا ولا تعصه

البيت الأول مردوف بالواو ، والآخر خال من الردف ، والنشاز الموسيقى ظاهر .

والخلاصة:

١ — أن آخر كلمة فى البيت لا يصح تكريرها قبل سبعة أبيات ،فإن تكررت كان ذلك عيباً اسمه (الإبطاء) .

٢ — أن الروى يجب أن يتحد فى القصيدة كلها ، فإن اختلف بحروف متقاربة المخارج ، فذلك عيب اسمه (الإكفاء) ؛ وإن اختلف بحروف متباعدة المخارج ، فذلك عيب اسمه (الإجازة) ، وهى أقبح من الإكفاء .

٣ — أن الوصل يجب التزامه بذاته ؛ ألفا أو واواً أو ياء أو هاء إلى آخر القصيدة .

٤ — أن الخروج يجب التزامه ، ألفا أو واواً أو ياء إلى آخر القصيدة .

٥ — أن التأسيس يجب التزامه من أول القصيدة إلى آخرها،فإذا أسست بعض الأبيات دون بعض فذلك عيب يسمونه (سناد التأسيس) .

٦ — أن الدخيل لا يجب التزامه ، فيصح أن يغير حرف الدخيل بين بيت وآخر .

٧ — أن الردف إن كان بالألف ، وجب أن تستمر الألف إلى آخر القصيدة ، وإن كان بالواو أو الياء جاز أن يبادل بينهما .

فاذا جاء بعض أبيات القصيدة مردوفا دون الآخر كان ذلك عيبا يسمونه (سناد الردف) .

مالا يكون رويا

ربما التبس عليك الرَّوِىُّ بالوصل ، أو غيره ، فكان لابد أن نبين لك مالا يكون رويا ، من حروف ، وَما يتردد بين الروىّ والوصل ، حتى يستبين لك الأمر .

فاعلم أن كل الحروف تصلح أن تكون رويا ، (أى حرفا تبنى عليه القصيدة) إلا هذه الأحرف .

١ — الألف ؛ وذلك :

(ا) حيث كان بدلا من تنوين للنصوب ، كقول أبى الطيب :

مَنْ أطاق التماس شىء غلابا واغتصابا لم يلتمسه سؤالا
كل غاد لحـــاجة يتمنى أن يكون الغضنفر الرئبالا

فالألف ههنا وصل ، وليست رويا ، وإنما الروى اللام .

(ب) أو كانت حرف إطلاق ، كقول شوقى راثيا :

نم ما بدا لك آمنا فى مـنزل الدَّهر أقصر فيه من سِنة الكرى
مازلت فى حد الفراش وذمه حتى لقيت به الفراش الأوثرا

الشاهـــد فى البيت الثانى ، فإن الألف فيه وصل ، والروىّ الراء[1]

(ح) أو كانت الألف لا حقة لضمير الغائبة كقوله فى سعد :

---

(١) أما فى البيت الأول فالألف أصل وليست الاطلاق ، والألف إذا كانت أصلا صلحت أن تكون رويا ؟ وأن تكون وصلا كما هنا .

ياعدو القيـــــد لم يلمح له　　شبحا فى خُطة إلا أباهــا
لا يضقْ ذرعك بالقيد الذى　　حزّ فى سوق الأوالى وبراها
وقع الرّسل عليه والتوَتْ　　أرجل الأحرار فيه فعفـاها

فالألف ههنا وصل . والروى الهاء .

(ى) أو كانت دالة على التثنية ، كقول العباس بن الأحنف :

سأطلب بُعْدَ الدار عنكم لتقربوا　　وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

فالألف وصل ، والروى الدال .

(هـ) أو كانت بيانا لحركة بناء ، كقول الشاعر ، يحاور عقربا رآها تلسع الصخرة :

رأيت على صـــخرة عقربا　　وقد جعلت ضربهـــا ديدنا
فقلت لهـا إنهـا صخرة　　وطبعك من طبعها ألينا[1]
فقالت صـدقت ، ولكنها　　أردت أعرفها مَنْ أنـا

الشاهد فى البيت الثالث ، فالألف وصل ، والروى النون.

٢ — الواو ، وذلك :

(ا) إذا كان حرف إطلاق، كقول أبى الطيب:

وكم ذنب مولّده دلال　　وكم بُعد مولّده اقتراب
وجُرم جرّه سفهاء قوم　　وحلّ بغير جارمه العذابُ

---

(١) كذا روى ، وينبغى أن يكون مرفوعا .

فالواو المولدة من إشباع الضمة فى (اقتراب ، وعذابُ) حرف إطلاق وهى وصل ، والروى الباء .

(ب) أو كانت ضمير جماعة لاحقا للفعل كقول شوقى فى نكبة دمشق :

بنى سورية اطرحوا الأمانى وألقوا عنكم الأحلام ألقوا
بلادٌ مات فتيتها لتحيا وزالوا دون قومهم ليبقُوا(١)

فالواو ههنا وصل ، والروى القاف ، أما الألف التى بعد الواو ، فألف رسم ، واعتدادنا باللفظ لا بالخط ،

(حـ) أو كانت مدًّا لاحقا للضمير الدالّ على الجمع ، كقول أبى الطيب :

إذا ترحّلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم ، فالراحلون همو

فالواو وصل ، والروى الميم .

٣ — الياء ، وذلك :

(١) حيث تكون حرف إطلاق ، كقول شوقى فى نكبة بيروت :

يارب أمرك فى الممالك نافذ والحكم حكمك فى الدّم المسفوك
إن شئت أهرقه وإن شئت احمه هو لم يكن لسواك بالمملوك

فياء (المسفوك ، والمملوك) وصل ، والقاف قبلها روى .

(ب) أو تكون مدًّا لاحقا للضمير ، كقول أبى نواس

أنعتُ كلبا أهله من كدّه
قد سعدت جدودهم بجدّه

---

(٢) كذا ، والصواب ليبقَوا بفتح القاف ، ولو فعل ذلك لكان إصرافا

فـــكلُّ خير عندهم من عنده
يظـــــلُّ مولاه له كعبده

فالياء الناشئة من إشباع الضمائر وصل ، والهاء روى[1] .

(حـ) أو تكون ضميراً للتكلم ، كقول شوقى :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى إليه فى الخلد نفسى
شهـــد الله لم يغب عن جفونى شخصهُ ساعة ولم يخل حسى

فالياء وصل ، والروى السين .

٤ — الهاء ، وذلك :

(ا) حيث تكون هاء سكت ، كقول أبى العلاء على لسان العجوز تذكر شبابها :

فإن يبيض للحدثان فودى فقد أغدو بفود كالدُّجنة
إذا ما السارحات نظرن فيه عجبن لما سرحن وما دهنه

الشاهد فى البيت الثانى ، فالهاء فيه وصل ، والنون قبلها روى .

(ب) وحيث تكون مبدلة من تاء التأنيث ، كقوله فى إحدى درعياته :

عليك السابغات فإنهنه يدافعن الصوارم والأسنة
ومن شهد الوغى وعليه درع تلقاهـا بنفس مطمئنة

فالهاء وصل ، والنون قبلها روى .

---

(١) ويمكن أن تجعل الهاء وصلا ، فتكون الياء خروجا والدال رويا .

(جـ) وحيث تكون ضمير غيبة ساكنة لأجل الوقف ، كقول شوقى :

كلما أنَّ بالعراق جريح ... لمس الشرقُ جنبه فى عمانه
وعلينا كما عليكم حديد ... تتنزّى الليوث فى قضبانه

فالهاء وصل ، والنون قبلها روىّ .

وما عدا هذه الأحرف ، فى هذه الحالات صالح لأن يكون روياً[1] .

تدريبات

١ — عين حروف القافية وبين ما يلزم منها ، وما يقوم غيره مقامة فيما يلى :

(ا) والجهل حظك إن أخذ ... ت العلم عن غير العليم
ولربَّ تعليمٍ سرى ... بالنشء كالمرض اللئيم
بمدارس لاتنهض الـ ... أخلاق دارسة الرسوم
يمشى الفساد بنشئها ... مشى الشرارة بالهشيم

(ب) ما كان أحوجنى يوما إلى أذن
صَماء إلا عن المحبوب ذى الأنس

---

(١) هذا وهناك حروف تصلح أن تكون رويا ووصلا ، وهى :
١ — الألف الأصلية ، جزى ، رمى . وكذا الزائدة لتأنيث أو إلحاق ، مثل،ليلى،أرطى:
٢ — الواو الأصلية الساكنة المضموم ما قبلها ، مثل يدعو . يعلو .
٣ — الياء الأصلية الساكنة المكسور ما قبلها ، مثل ينتهى يرتضى .
٤ — الهاء الأصلية المتحرك ما قبلها ، مثل : بكره ، يسفه . يعمه .
٥ — تاء التانيث مثل : تولت استقلت ، اطمأنت .
٦ — كاف الخطاب مثل : لك ، معك ينفعك .
٧ — الميم بعد الهاء أو الكاف مثل : منهم ، عنهم ومثل : منكم عنكم .

كيلا يصدعَ رأسي صـــوت نائحةٍ
ولا تقطع قلبي أنة التعس
ولا يمرّر نفسي الأدعيـــاء ولا
زى الأفاضـــل من ذى خسة شرس
أقول هذا عسى حـــــرٌ يقول معى
ماكان أحـــوج بعض الناس للخرس

٢ — بين الروى والوصل والتأسيس والدخيل فيما يلى :

(ا) عليك السابغات فإنهنه يدافعن الصـــوارم والأسنة
ومن شهد الوغى وعليه در تلقـــاها بنفس مطمئنة
(ب) يامنظراً حسناً رأيتـــــه من وجـــه جارية فديته
بعثت إلىّ تسومنى برد الشباب وقد طويته
(حـ) قد قضى الله أن يؤلفنا الجر ح وأن نلتقى على أشجانه
نحن فى البر بالديار سواء كلنا مشفق على أوطانه
(د) يرومون سلواناً لقلبى يريحه ومن لى بالسلوان أشربه غالباً
وما العشق إلا لذة ثم شقوة كما شقى المخمور بالسكر صاحيا

٣ — فى الأبيالا الآتية عيوب تتصل بالقافيه ، أو حرف من حروفها ، فما هى :

(١) قال عروة بن حزام :

أقول لعراف اليمامة داونى ... فإنك إن داويتنى لطبيبُ
فوا كبدا أمست رفاتا كأنما ... يلذعها بالموقدات طبيبُ

(ب) قال شوقى فى لبنان :

السلسبيل من الجداول ورده ... والآس من خضر الخمائل قوته
دخل الكنيسة فارتقبت فلم يطل ... فأتيت دون طريقه فزحمته
فازور غضباناً وأعرض نافراً ... حالٌ من الغيد الملاح عرفته
فصرفت تلعابى إلى أترابه ... وزعمتهن لبانتى فأغرته
فمشى إلى وليس أول جؤذر ... وقعت عليه حبائلى فقنصته
لما ظفرت به على حرم الهدى ... لابن البتول وللصلاة وهبته

(ج) وقال ذو الإصبع العدوانى :

لاه ابن عمك لا أفضلت فى حسب ... عنى ولا أنت ديانى فتخزونى
ولا تقوت عيالى يوم مسغبة ... ولا بنفسك فى العزاء تكفينى
فان ترد عرض الدنيا بمنقصتى ... فإن ذلك مما ليس يشجينى
ولا ترى فىَّ غير الصبر منقصة ... وما سواه فإن الله يكفينى

(د) وقال العجاج :

يا دارمية اسلمى ثم اسلمى ... بسمسم أو عن يمين سمسم

ثم قال : فخندف هامة هذا العالم

(هـ) ومما ينسب إلى الكاهنة التى لها حديث مع عبد الله بن عبد المطلب:

إنى رأيت غمامة برقت ... بيضاء بين حناتم القَطْرِ

وظننته شرفا لصاحبه ... ما كل قادح زنده يورى

حركات القافية

والعيوب المتصلة بالحركات

كما أن هناك حروفا لابد من اتحادها ، كالروى والتأسيس ، وكالوصل والخروج ، حتى تتم للقافية موسيقاها .

كذلك نجد حركات فى القافية لابد من اتساقها حتى تتوفر للموسيقى اللازمة ، وتلك الحركات هى :

١ — حركة الروى ، فإذا كان حرف الروى مفتوحا ، وجب أن يظل مفتوحا ، منذ أول بيت إلى آخر بيت ، وإن كان مضموماً أو مكسوراً فكذلك .

فلا يجوز أن تكون حركة الروى فتحة فى بيت ، ثم تكون ضمة أو كسرة فى آخر . ومثل هذا يقال فيما كانت حركة الروى فيه ضمة أو كسرة .

وحركة الروى تسمى (مجرى) .

وَلقد أنشأ النابغة قصيدته فى المتجردة وَأولها :

من آل ميّة رائح أوْ مغتدي عجلان ذا زاد وغير مزودِ

وَقد جاء فيها :

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه   فتناولته واتقتنا باليد
بمخضب رخص البنان كأنه   عنم يكاد من اللطافة يعقدُ

فاختلف المجرى (وهو حركة الروى) بكسر وضم فعيب عليه ذلك واختلاف المجرى بالكسر والضم يسمى عند العلماء (إقواء).

وربما كان الاختلاف بفتح وكسر، أو فتح وضم كقول الشاعر:

لا تنكحن عجوزاً أو مطلقة   ولا يسوقنها فى حبلك القدرُ
وإن أتوك وقالوا إنها نصفٌ   فان أطيب نصفيها الذى غبرا

أرأيت كيف جاء المجرى وهو حركة الروى ضمة فى البيت الأول وفتحة فى البيت الثانى؟ واختلاف المجرى بفتح وضم. أو فتح وكسر يسميه العلماء (إصرافاً).

٢ – فإذا كان الروى مقيداً أو ساكناً، فلابد من اتحاد حركة الحرف السابق له، وحركة الحرف السابق له تسمى (توجيها)، فلو اختلفت هذه الحركة كما فى قول شوقى:

أما الشباب فقد بعد   ذهب الشباب فلم يعد
ويحى أين بعد السنين   وقد مررن بلا عدد
تجنى الحسان على ما   لم تجن قبلُ على أحد

فان ذلك يكون عيباً، ويسمونه (سناد التوجيه).

٣ — وأنت قد عرفت أن الدخيل ، وهو الحرف الذى بين ألف التأسيس والروى غير لازم ، وهنا نقول لك ، ولكن حركته لازمة يافتى ؟ فإذا كانت فتحة أو كسرة أو ضمة وجب أن تستمر إلى آخر القصيدة ، وتسمى هذه الحركة (إشباعا) .

فاذا اختلف الإشباع فى بيتين من قصيدة واحدة كان عيبا ، كما فى قول الشاعر :

وكنا كغصنى بانة ليس واحدٌ   يزول على الحالات عن رأى واحد
تبدّل لى خل فخالت غيره   وخليتهُ لما أراد تباعُدى

الدخل هو الحاء فى البيت الأول وحركتها الكسرة ، والعين فى البيت الثانى ، وحركتها الضمة إذن فقد اختلف الإشباع . . وهذا عيب يسميه العلماء (سناد الإشباع) .

٤ — ولابد أن تتحد كذلك الحركة التى قبل الردف ، وتسمى هذه الحركة (حذوا) ، فاذا اختلفت فذلك عيب يسمونه (سنادالحذو) ، ويمثلون بقول الشاعر :

كأن سيوفنا منا ومنهم   مخاريق بأيدى لاعبينا
كأن متونهنَّ متون غُدْرٍ   تصفقها الرياح إذا جرينا

الياء ردف فى البيتين ، والحركة التى قبلها كسرة فى البيت الأول، وفتحة فى البيت الثانى . . إذن فقد اختلف الحذو ، فهذا (سناد حذو) .

والخلاصة:

١ - أن حركة الروى تسمى مجرى ، ويجب اتحادها فإن اختلفت بضم وكسر فذلك إقواء ، وإن اختلفت بفتح وغيره فذلك إصراف .

٢ - أن حركة ما قبل الروى للقيد تسمى توجيها ويجب اتحادها ، فان اختلفت كان عيبا يسمى سناد التوجيه .

٣ - أن حركة الدخيل تسمى إشباعا، ويجب أن تتحد ، فان اختلفت كان عيبا يسمى سناد الإشباع .

٤ - أن حركة ما قبل الردف تسمى حذواً ، ويجب أن تتحد ، فإن اختلفت كان عيبا يسمى سناد الحذو .

تدريبات

١ - بين القافية وحركتها فيما يلى :

(ا) قال الليالى جرعتنى علقما   قلت ابتسم ولئن جرعت العلقما
فلعل غيرك إن رآك مرنما   طرح الكآبة جانبا وترنما !

(ب) راحلا فى مثل أعمار المنى   ذاهبا فى مثل آجال الزهر
هاربا من ساحة العيش وما   شارف الغمرة منها والغدر

(حـ) هل علمتم أمة فى جهلها   ظهرت فى المجد حسناء الرواء

باطن الأمة من ظاهرها إنما السائل من لون الاناء

(د) يطلبن نصرة ربهن وربهن بـلا نصير
ما ينتهين من الصلا ة ضراعة ومن النذور

(هـ) قسما بثنايا لؤلؤها قسم الياقوت منضده
وقوام يروى الغصن له نسبا والرمح يفنده
وبخصر أوهن من جلدى وعوادى الدهر تبدده
ما خنت هواك ولاخطرت سلوى بالقلب تبرّده

(و) تحن إليك ضلوع عفت من البين فى جسد ناحل
وقلبٌ جوٍ عندها خافق تعلق بالسند المائل
ومن عبث العشق بالعاشقين حنين القتيل إلى القاتل

٢ — فى الأمثلة الآتية عيوب فى حركات القافية ، بين موطن كل عيب، واللقب الاصطلاحى له :

(ا) قال دُريد بن الصِّمة يتحدث عن أخيه فى إحدى الحروب :
دعانى أخى والخيل بينى وبينه فلما دعانى لم يجدنى بقعدد
فطاعنت عنه الخيل حتى تنهنهت وحتى علانى حالك اللون أسود

(ب) وقال امرؤ القيس :
فتور القيام قطيع الكلا م يَفترُّ عن ذى غروب خصر

كأن المـدام وصوب الغمام ... وريح الخزامى ، ونشر القُطر
يعَلّ به برد أنيابهـا ... إذا طرب الطائر المستحر(١)

(حـ) وأنشدوا للنابغة :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وهل يأثمن ذو إمـة وهو طائع
بمصطحبات من لِصاف وثَبرةٍ ... يزرن إلالا سيرهن التدافع(٢)

(د) وقال عمرو بن كلثوم في المعلقة :

وسيدِ معشر قد توجوه ... بتاج الملك يحمى المُحجَرينـا
تركنا الخيل عاكفة عليه ... مقَلَّدة أعنتهـا صفونا
كأنّ متونهن متون غـدْر ... تصفقها الرياح إذا جرَيْنا

(هـ) وقال النابغة :

لقـــد قلت للنعمان لما رأيته ... يريد بنى حِنّ ببرقة صادر
تجنب بنى حن فان لقاءهم ... كريهٌ ، وإن لم تَلقَ إلا بصابر

ثم قال :

هم منعوها من قضاعة كلها ... ومن مضرَ الحمراءِ عند التغاورُ

٣ — بين حروف القافية وحركاتها اللازمة فيما يلي :

---

(١) المستحر : المغرد بالسحر :

(٢) الإمة : الدين والاستقامة . المصطحبات : الابل لصاف . وثبرة وإلال : مواضع والأخير بعرفة .

(ا) قال أبو الطيب :

أقمت بأرض مصر فلا ورائى ... تخب بى الركاب ولا أمامى
وملنى الفراش وكان جنبى ... يمل لقاءه فى كل عام

(ب) وقال الشريف الرضى :

ياظبية البان ترعى فى خمائله ... ليهنك اليوم أن القلب مرعاك
الماء عندك مبذول لشاربه ... وليس يرويك إلا مدمعى الباكى

(حـ) وقال أبو العتاهية :

أتته الخلافة منقادة ... إليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح إلا له ... ولم يك يصلح إلا لها

(د) وقال النابغة :

أتاك امرؤ مستبطن لى بغضة ... له من عدو، مثل ذلك شافع
أتاك بقول هلهل النسج كاذب ... ولم يأت بالحق الذى هو ناصع
أتاك بقول لم أكن لأقوله ... ولو كبلت فى ساعدى الجوامع

نوعا القافية

قد يتحرك آخر روى البيت ، فيقال : إن القافية مطلقة .

وقد يسكن ، فيقال : إن القافية مقيدة .

فالأول كقول أبي نواس :

أجارة بيتنا أبــــوك غيور   وميسور مايرجى لديك عسير

والثاني كقول طرفة :

أصحوت اليوم أم شاقتك هر   ومن الحب جنـــون مستعر

(١) القوافي المطلقة

ثم إن القوافي المطلقة قد يصل رويها بحرف مد ، ألفا أو واوا أو ياء ، وقد يوصل رويها بهاء ، فهذان نوعان :

النوع الأول : قد يأتيك والقافية مؤسسة ، كما في قول عروة بن الوَرد :

أتهزأ مني أن سمنت وأن ترى   على شحوب الحقّ والحقُّ جاهد

أفرق جسمي في جسوم كثيرة   وأحسو قراح الماء والماء بارد

وقد يأتيك والقافية مردوفة ، كقول ابن زيدون :

ما على ظني بـــاس   يجرح الدهـــر وياسو

وكذا الدهر إذا ما   عز ناس ذل ناس

وقد تأتيك والقافية مجردة من التأسيس والردف ، كقول حافظ يعاتب صديقا:

أدلال ذاك أم كسل أم تناس ذاك أم ملل
أم - وقاك الله - فى كدر أم على الأقدار تتكل

والنوع الثانى : قد يأتيك والقافية مؤسسة كقول البحترى فى مصرع المتوكل :

صريع تقاضاه السيوف حشاشة يجود بها والموت حمر أظافره
ولو كان سيفى ساعة الفتك فى يدى درى الفاتك العجلان كيف أساوره

وقد يأتيك والقافية مردوفة كقول الأعشى يصف الساقى وخمره :

مقام يصب لنا قهوة تسكننا بعد إرعادها
كميت تكشف عن حمرة إذا صرحت بعد إزبادها

وقد يأتيك والقافية خالية من التأسيس والردف جميعاً ، كقول ابن قيس الرقيات :

بكر العواذل فى الصبا ح يلمننى وألومهنه
ويقلن شيب قد علا ك وقد كبرت فقلت إنه
لابد من شيب فدع ن ولا تطلن ملامكنه

ولا يخدعك السكون فى آخر البيت ، فتحسب القافية مقيدة ، فإن هذا الوصف إنما تستحقه القافية حيث يكون السكون على حرف الروى ، لا على هاء الوصل . فتدبر !

(ب) القوافى المقيدة

وهى كذلك تأتى مؤسسة ، كقول أبى الطيب :

أزائر ياخيال أم عائد أم عند مولاك أننى راقد

وتأتى مردوفة كقول الشاعر :

أهـــلا أبا قردان يا منقذ الفـــلاح
كلا كاقـــد هان واستمـــرأ الأتراح

وتأتى خالية من الردف والتأسيس ، كقوله فى أبى قردان أيضاً :

تعيش بين الحقول مستأصـــلا الضرر
بنـــاقر لا يحـــولْ وناظر من شرر

* * *

وليس يفوتنا ههنا أن ننبه إلى أن القوافى المقيدة بعامة أعسر مطلباً من القوافى المطلقة ، وأنها بعد المد أيسر منها دون المد ،ولا تكاد تجدها فى البحور الطوال ، حاشا المتقارب والرمل والطويل ، وتفشو فى القصار وتحسن ، والتقاء الساكنين نمط صعب ، لا يركبه إلا قدير . كما نرى لأبى العلاء فى درعيته التى مطلعها :

ما نخلت جارتنا ودهـا يوم ترامت بكثيب النخلْ

ولا نرى من ذلك بعد إلا المشطورات القصار .

لزوم مالا يلزم

عرفت أن لوازم القافية من الحروف خمس : الروى ، والردف ، والتأسيس والوصل ، والخروج ، وقد أظهرناك عليها فيما سلف .

وإن لوازم القافية من الحركات أربع : المجرى ، والتوجيه ، والدخيل ، والحذو . وقد شرحناها لك آنفاً .

فإذا التزم الشاعر فى قصيدته أو مقطوعته هذه اللوازم من حروف وحركات فهو حسبه ، وإن أربَّ عليها وازداد ، كان ملتزماً لما لا يلزم ، وقد أغرم بذلك أبو العلاء ، تفاصحاً وإظهاراً للقدرة والتمكن اللغوى ، فإن ما يلزم فى القافية أمر ليس بالسهل تحصيله ، فإذا عداه إلى التزام يتبرع به ، ونافلة يجود بها ، دلَّ بذلك على سعة محصوله ، ومواتاة ذهنه .

ولنضرب لك أمثلة مما جاء به أبو العلاء فى ديوانه الكبير : (لزوم مالا يلزم) .

١ — قال :

أغنى الأنام تقى فى ذرا جبل ... يرضى القليل ، ويأبى الوشى والتاجا
وأفقر الناس فى دنياهم ملك ... يضحى إلى اللجب الجرار محتاجا
وقد علمت المنايا غير تاركة ... ليثاً بخفان أو ظبياً بفرتاجا

الحروف اللازمة هى : (الجيم) لأنها روى ، و (الألف) بعدها لأنها وصل ، و (الألف) قبلها لأنها ردف .

والحركات اللازمة هى (فتحة الجيم) لأنها مجرى . و (الفتحة) قبل الردف لأنها حذو . وقد التزم أبو العلاء من الحروف زيادة على ما سبق : التاء السابقة لألف الردف ، ومن الحركات السكون السابق لهذه التاء .

فهذه التاء ، وهذا السكون من لزوم مالا يلزم .

ونظير هذا قوله :

تسريح كفك برغوثا ظفرت به ... أبر من درهم تعطيه محتاجا
كلاهما يتــوقى ، والحياة له ... حبيبة ، ويروم العيش مهتاجا

٢ - وقال :

لعل أناساً فى المحاريب خوفوا ... بآى ، كناس فى المشارب أطربوا
إذا رام كيداً بالصلاة مقيمها ... فتاركها عمداً إلى الله أقرب

اللازم من الحروف : باء الروى ، وواو الوصل ، ليس غير .

واللازم من الحركات : فتحة الروى (المجرى) فحسب .

وقد التزم أبو العلاء من الحروف . الراء قبل الروى .

والتزم من الحركات ثلاثاً فتحة ، فسكوناً ، ففتحة قبل الروى .

٣ — وقال :

غدوت مريض العقل والدين فالقنى ... لتسمع أنباء الأمور الصحائح
فلا تأكلن ما أخرج الماء ظالما ... ولا تبغ قوتاً من غريض الذبائح
وأبيض أمات أرادت صريحه ... لأطفالها دون الغوانى الصرائح
ولا تفجعن الطير وهى غوافل ... بما وضعت فالظلم شر القبائح
ودع ضرب النحل الذى بكرت له ... كواسب من أزهار نبت فوائح
فما أحرزته كى يكون لغيرها ... ولا جمعته للندى والمنائح
مسحت يدى من كل هذا فليتنى ... أبهت لشأنى قبل شيب المسائح

الحروف اللازمة : هى حاء الروى ، وياء الوصل بعدها ، وألف التأسيس.

وقد التزم أبو العلاء زيادة عليها : همزة الدخيل ، فإنها غير لازمة وإنما اللازم حركتها .

والحركات اللازمة ، كسرة المجرى ، وكسرة الإشباع . وقد التزم أبو العلاء . فتحة ما قبل التأسيس ، وهذه لا تحتسب له ، فإن ما قبل التأسيس لا بد أن يكون مفتوحاً ، وفتحة قبلها ، وهذه من لزوم ما لا يلزم .

وبعد :

فإن فى قيود القوافى الملتزمة عناء مرهقاً يغنى الشاعر عن أن يتكئ على نفسه ، ويضيف إليها التزامات جديدة لا مبرر لها ، وبخاصة فى العصر الذى قل فيه محصول الأدباء من اللغة ، ودفعهم الإفلاس — فى أكثر الأحيان — إلى المناداة بتنوع القوافى .

تنوع القوافى

والمقصود من ذلك مخالفة حروف الروى، بحيث تبدأ القصيدة على روى.. ينتقل الشاعر منه إلى غيره من الحروف . . وليس هذا الاختلاف بمعيب أبداً بل منه المقبول ومنه المردود . .

وقد زعم كثير من النقاد أن عدم وجود شعر الملاحم فى الشعر العربى مرده إلى العسر الذى يقتضيه التزام قافية واحدة ولو قد أتيح للشعراء نظام يعفيهم من التزام قافية واحدة لكانت لنا ملاحم عربية ، تناصى الملاحم اليونانية .. وهذا قول يحتاج إلى تمحيص ، ليس موضوعنا الخوض فيه .

على أنا قد عهدنا نوعا من الرجز فى القنص والطرد ، لا يتحلل فيه الرجاز من القوافى، بل على العكس من ذلك يلتزمون القافية فى كل شطر ، حتى ليحتسب الشطر الواحد بيتاً كاملا .

وهذا عندى ، من أقرب الشعر العربى إلى روح الملاحم .

والخروج على التقفيه ليس له نظام واحد ، بل له طرق لا تكاد تنحصر ونحن نكتفى بالأنواع الآتية :

١ ـــ المزدوج : وفيه تغيير القافية مع كل بيت ، بيد أن كل بيت يجرى عليه التصريع فيكون للشطر الأول ما للشطر الثانى من قافية وأكثر

ما ينظم به الحكم والأمثال ، وحكايات الأطفال ، كقول شوقى بعنوان : أنت وأنا ! :

يحكون أن رجلا كرديا   كان عظيم الجسم همشريا
وكان يلقى الرعب فى القلوب   ويكثر السلاح فى الجيوب
ويفزع اليهود والنصارى   ويرعب الكبار والصغارا
وكلمات من هناك وهنا   يصيح بالناس . أنا ، أنا ، أنا
نمى حديثه إلى صبى صغير   صغير جسم بطل قوى
لا يعرف الناس له الفتوة   وليس ممن يدعون القوة
فقال للقوم سأدريكم به   فتعلمون صدقه من كذبه
وسار نحو الهمشرى فى عجل   والناس مما سيكون فى وجل
ومد نحوه يميناً قاسية   بضربة كادت تكون القاضية
فلم يحرك ساكناً ولا ارتبك   ولا انتهى من زعمه ولا ترك
وقال للغالب قولا ليناً :   الآن صرنا اثنين : أنت وأنا

٢ — المشطر : وطريقه أن ينظر إلى المشطور فيكون شطران ذوا قافية وشطر ثالث مخالف لهما فى قافيته ، ثم إن هذه القافية تتكرر فى الشطر الثالث ليس غير من كل مجموعة عدتها ثلاثة أشطر ، نرى ذلك فى قول العقاد :

أذن الشفاء فما له لم يحمد   ودنا الرجاء وما الرجاء بمسعدى

أعدوت أم شارفت غاية مقصدى

برد الغليل اليوم وانطفأ الجوى وسلا الفؤاد فلا لقاء ولا نوى
وتبدد الشملان أى تبدد

هذا النوع يمكن تسميته (للثلث) وأكثر منه ما يسمى (بالمربع) والشائع منه صنفان :

الصنف الأول ، ما يكون للشطرين الأولين قافية ، وللآخرين قافية كقول الدكتور إبراهيم ناجى :

أمسيت أشكو الضيق والأينا مستغرقاً فى الفكر والسأم
فمضيت لا أدرى إلى أينا ومشيت حيث تجرنى قدمى
فرأيت فيما أبصرت عينى ملهى أعد ليبهج الناسا
يجلون فيه قرائح الحسن ويباع فيه اللهو أجناسا
... وهكذا

والصنف الثانى الشائع فى المربع . ما تجىء فيه ثلاثة أشطر على قافية ، والشطر الرابع على قافية ، غير أن الشطر الرابع تلتزم قافيته بعد ، فى كل رابع ثلاثة ، كقول شوقى فى قصيدته البسفور كأنك تراه :

تسايرك المدائن والأناسى وفلك بين جوال وراسى
وتحضنك الجزائر والرواسى وتجرى رقة لك وهى صخر
تسير من الفضاء إلى المضيق فآناً أنت فى بحر طليق

وآونة لدى مجرى سحيق   كما الشلال قام لديه نهر

وأشيع من الربع بصنفيه المخمس ، وله أنظمة كثر ، نوع ساذج تقسم به المقطوعة إلى مجموعات ، كل مجموعة خمسة أشطر ، ذوات قافية متحدة .

كقول إلياس فرحات من قصيدته بين الطفولة والشباب :

ظلمتنى ظلمتنى يادهر   ماذا تشا ، هل لك عندى تأثر
كأن دمعى فوق خدى نثر   كأن صدرى من سقامى شعر
وكل ضلع من ضلوعى شطر

قد صرت من حزنى وامتعاضى   كالهيكل الهاوى إلى الأرباض
أن أذكر العهد اللذيذ الماضى   يختلط السواد بالبياض
• وتمطر العين على الأنقاض

ونوع أكثر أناقة ، انتحلاه الشعراء المحدثون فأكثروا منه ، ويقوم على خمسة أشطر ، أربعة منها ذوات قافية متحدة ، والأخير له قافية مستقلة ؛ غير أنها تلتزم فى كل خامس . كقول أبى ماضى ، فى قصيدته (يابلادى) :

مثلما يكمن اللظى فى الرماد   هكذا الحب كامنٌ فى فؤادى
لستُ مُغْرًى بشادنٍ أو شادى   أنا صب متيمٌ ببلادى
يابلادى عليك ألف تحيةْ

هو حب لا ينتهى والمنيةْ   لا ولا يضمحل والأمنية
كان قبلى وقبل نفسى الشجيةْ   كان من قبل فى حشَى الأزلية
وسيبقى ما دامت الأبدية

٠٠ وهكذا

٣ — المُسمَّط: وفيه تتكرر قافيتان أو أكثر بعد كل عدد من الأبيات ويمكن أن يندرج فيه الموشح، ومنه قصيدة أبي ماضي (في الليل) قال :

جاءت وقد رقد الغافلون أفكر في أمسنا والغد
وكيف استبد بنا الظالمون وجاروا على الشيخ والأمرد
فخلعت اللواعج بين الجفون وأن جهنم في مرقد
فأرسلت العين مدرارها
وضاق الفؤاد بما يكتم

ذكرت الحروب وويلاتها وما منع السيف والمدفع
وكيف تجوز على ذاتها شعوب لها الرتبة الأرفع
وتخضب بالدم راياتها وكانت تذم الذي تصنع
فباتت لما شيدت تهدم
صروح العلوم وأسوارها

... وهكذا

٤ — وربما خرجت القصائد عن هذا الحدود، وسلكت دروباً أخرى يسيرة أو معقدة، فأما اليسيرة، فمنها قول الشاعر علي محمود طه :

أيها الشاعر الكئيب مضى اللي ل وما زلت غارقاً في شجونك
مسلما رأسك الحزين إلى الفكـ ر والسهد ذابلات جفونك

ويد تمسك اليراع وأخرى   في ارتعاش تمر فوق جبينك
وفم نابض به حر أنفا   سك يطغى على ضعيف أنينك
لست تصغى لقاصف للرعد فى   الليل ولا يزدهيك فى الإبراق
قد تمشى خلال غرفتك الصمـ   ـت ودب السكون فى الأعماق
غير هذا السراج فى ضوئه الشا   حب يهفو عليك من إشفاق
وبقايا النيران فى الموقد الذا   بل تبكى الحيـاة فى الأرماق
... وهكذا

أما المعقدة: فمثل قول فوزى المعلوف فى ملحمته (على بساط الريح):

فى عباب الفضاء فوق غيومه
فوق نسره
ونجمته
حيث بث الهوى بثغر نسيمه
كل عطره
ورقته

مواطن الشاعر المحلق منه البد   ن لكن بروحه لا بجسمه
أنزل فيه عروس قوا   فيه بعيداً عن الوجود وظلمه
ملك قبة السماء له قصـ   ـر وقلب الأثير مسرح حكمه
ضارب فى الفضاء موكبه النو   ر وأتباعه عرائس حلمه

ولا تظنن أن هذا التنوق فى تركيب القوالب الموسيقية وتنظيمها حديث ، فإن التوشيح فى زمن ازدهاره قد عولج فيه مثل هذا أو أشد .

وهذه مقطوعة لابن سناء الملك ، يريك هذا الافتنان الذى يكاد يخرج بك من حدود الشعر إلى حدود الرقص :

شمس الحيا أم القمر
أم بارق الثغر يا بشر
أم البها حفه الخفر
بطرز خديك مستطر
قم تباهى . بما تباهى . ولا تلاهى
فكل أحبابنا حضر والعود يشجيك والوتر
أفديك بالسمع والبصر
يا أهيفا وصله وطر
بدر بدا فى دجى الشعر
قد لذ فى حبه السهر
إذا تجلّى . وقد تحلى . عليك يجلى
تحار فى وصفه الفكر والعقل والسمع والنظر

وهى إلى معانى الرقص أقرب، ويسعرها هذه الأوزان التى تهز الأعطاف قسراً .

وبعد . فلعلك اطمأننت إلى أن تنوع القوافى ، كتنوع الأوزان لاحدود له والمقبول منه ما أعان على الغرض، ولم يورث السمع استكراها والموسيقى نشازا والله ولى التوفيق .

محتويات الكتاب

وبعـــــد :

فلله الحمد ربِّ السموات ورب الأرض ربِّ العالمين ، وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم .